مارغريت ديفين

حكايات وأساطير من مصر القديمة





ترجمة
فاطمة عابدين

منحة 2006

SIDA

السويد

حكايات و أساطير

من

مصر القديمة

Marguerite Divin

Contes et légendes de l'Egypte ancienne

مارغريت ديفين

حكايات و أساطير من مصر القديمة

ترجمة
فاطمة عابدين



منشورات دار علاء الدين

- **حكايات وأساطير من مصر القديمة.**
- تأليف: **مارغريت ديفين.**
- ترجمة: **فاطمة عابدين.**
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥.
- عدد النسخ /١٠٠٠/ نسخة.

- تمت الطباعة في دار علاء الدين للنشر.
- **هيئة التحرير في دار علاء الدين.**
  - الإدارة والإشراف العام: **م. زويا ميخائيلينكو.**
  - التدقيق اللغوي: **صالح جاد الله شقير.**
  - المتابعة الفنية والإخراج:

    أسامة راشد رحمـــة.

دار علاء الدين

للنشر والتوزيع والترجمة

سورية، دمشق، ص.ب: ٣٠٥٩٨

هاتف: ٥٦١٧٠٧١، فاكس: ٥٦١٣٢٤١

البريد الإلكتروني: ala-addin@mail.sy

تقديم
التراث والأساطير

إن أي تراث لأي مجتمع لا يمكن أن يتطور دون تراث. والتراث في اللغة هو إرث موروث عن الأسلاف تركوا لنا فيه ناتج خبراتهم ومعارفهم. والناس هم صناع هذا التراث يصوغونه وفق ظروفهم وحاجاتهم ومعارفهم.

وإن أي نقلة تطورية لابد أن تسبقها نقلة على الدرجة الأدنى ويستحيل دونها الوصول إلى الدرجة الأعلى، وبمعنى آخر: إن أي تطور ثقافي لأي مجتمع لا يمكن حدوثه إلا على أسس وأعمدة ثقافية سابقة.

فالتراث هو ناتج تراكم كمي وكيفي لخبرات طويلة تعود إلى بدء استقرار الإنسان على الأرض وارتباطه بها. وإعمالاً لذلك، تأتي ضرورة دراسة الأساطير في تراثنا القديم وتتبع أهميتها من كونها جزءاً لا يتجزأ من تاريخنا، وأن شطب هذا التراث جريمة لا تغتفر سواء كان ذلك بسوء نية أو بحسنها، لأن هذا الشعب يساهم في قطع الحبل السري لهذه الأمة من رحمها الأصيل. والواضح أن الباحثين في التراث لم يهملوا الأساطير إلا لأنها تعنى بالخرافات واللا معقول وأقاصيص الآلهة.

فالأسطورة، وإن اشتملت على أحلام وانفعالات وتصورات وأخيلة، فهي تشمل أيضاً على حقائق يمكن أن تتكشف بوضوح إذا استطعنا أن نفسرها بعد ربطها بشرطها التاريخي ومكانها في النسق المعرفي كما فعل المصريون عندما عبروا عن تحولهم التاريخي بأسطورة، وغيروا واقعهم الاجتماعي والسياسي

بأيديولوجيا تمت صياغتها - لتحقيق أهداف هذا التغيير - بأسلوب أسطوري، بحيث كانت الأسطورة هي الجانب النظري أو النظرية الثورية لتثوير المجتمع آنذاك.

والواقع أن هناك أساطير تشتمل على تسجيل تاريخي لأحداث وقعت قبل التدوين وتناقلتها الأجيال المتعاقبة وهي تؤمن تماماً أنها أحداث قد وقعت فعلاً.

ويبدو أن هناك علاقة ما بين الأسطورة والدين، إذ إن الظروف الاجتماعية والاقتصادية لم تعد الأسطورة كافية لحلها، فالأسطورة كانت بعيدة عن الفردية وغير مفروضة فجاء الدين موجهاً ومخططاً ومبرمجاً فتجاوز الأسطورة ليصبح اعتقاداً مفروضاً ارتبط بالإيمان والكفر وما يتبع ذلك من إنعامات وحرمان.

ومن علاقة الأساطير بالدين أن أولى الأعمال الأدبية الأسطورية ولدت في المعابد وهياكل الآلهة، وكان التراث المقدس يأخذ شكلاً قصصياً يدور حول الآلهة ويفسر الأفكار الدينية بشكل مبسط. ولم تتخذ الأسطورة صفة الإلزام مما جعلها عرضة للتغيير والتبديل والتحوير من قبل كافة القوى التي يمكن أن تستفيد منها فيغيروا فيها ما هو في مصلحتهم.

ولقد تصور الإنسان القديم أن ثمة كياناً غير مادي يترك الجسد عند الموت، وقد تصوره الدم الذي يجري في عروق الإنسان أو نبض قلبه أو هواء تنفسه. ومن ثم تصور أن هذه النفس تموت بدورها ثم تتمثل في اسم الشخص أو ظله أو طيف يزور الأحلام أو حيوان كان يألفه ويعاشره.

وأخذ الإنسان القديم مع مرور الزمن يقلل من المادية في تصوره للنفس حتى تخيلها باقية دائماً تتجاوز حدود الزمان والمكان وتتقمص في الأجساد ثم تخيل اللا موت والأبدية وارتفع بها إلى عالم الألوهية.

وتدرجت مراحل الاعتقاد بدءاً من عبادة ظواهر الطبيعة إلى عبادة الأجداد، إلى عبادة أرواح نصف مادية، إلى عبادة آلهة متعددة ثم إله قومي واحد ثم إله عالمي واحد.

وتعددت المدارس التي تبحث في الأسطورة، وأدلت مدارس علم النفس بدلوها فاعتبرت بطل الأسطورة عندما يخضع لتحولات سحرية خارقة ليس سوى انعكاس لرغبات وأمانٍ مكبوتة تنطلق بعيداً عن رقابة الوعي. لذلك تمتلئ بالرموز التي لو فهمناها لزودتنا معانيها بفهم عميق للنفس البشرية. ويقول عالم النفس فرويد: «إن الأسطورة نتاج اللا شعور»، ولكن تلميذه «يونغ» قرر أنها «نتاج لا شعور جمعي عاش في لاشعور الجماعة وانتعش من خلال الفرد». واتفقت مدارس الأسطورة على مبادئ ثلاثة:

١- إنها تصف حقائق تاريخية.

٢- إنها رموز لحقائق فلسفية دائمة.

٣- إنها انعكاسات لأعمال طبيعية تدرجت مرة بعد أخرى.

وهذه المبادئ الثلاثة لابد أن تتبع منهجاً من مناهج متعددة، فيقول البعض «إنَّ الأسطورة قصة لأمجاد أبطال غابرين»، ويقول البعض الآخر «إن أبطال الأساطير ظواهر طبيعية تم تشخيصها في أسطورة اعتبرت بعد ذلك قصة شخصيات مقدمة»، وقال البعض الآخر «إن الأسطورة قصة مجازية تخفي أعمق معاني الثقافة أو أنها قصة رمزية تعبر عن فلسفة كاملة لعصرها....».

لذلك يجب دراسة العصور نفسها لفك رموز الأسطورة، ويقول المنهج العقلي لدراسة الأسطورة: «إن نشوء الأسطورة كان نتيجة لسوء فهم لخطأ ارتكبه فرد أو مجموعة من الأفراد في تفسير أو سرد رواية أو حادثة قديمة، ويعتبر منهج التحليل النفسي أن الأسطورة هي رموز لرغبات غريزية وانفعالات نفسية. ففي الأساطير المعروفة في مصر القديمة هناك صراع دائم بين الخير الذي يمثله الكائن الطيب «أوزيريس» والشرير «سيت» وهذا الصراع بدأ من الأزل ويستمر إلى الأبد.

ومثلها ملحمة من بلاد الرافدين تحكي أن «تيامة» رمز القوى العمياء والشريرة كانت هي البحر المظلم ولم يزل اسمها على سهل في الحجاز «تهامة» حتى جاء النور

ممثلاً في «مردوك» رب الضياء والنور، فدخل معها صراعاً عنيفاً انتهى بالقضاء عليها ثم تفرغ لتنظيم السموات والأرض.

وفي «كنعان» ما يشبه ذلك: إنَّ الأصل كان غمراً مظلماً يسيطر عليه «يم» يفرض السكون والفوضى على الوجود حتى ظهر الإله «بعل» فقضى على «يم» من أجل تثبيت النظام والخير في الأرض: «ولا يزال الصراع مستمراً».

والأسطورة هنا هي الناس، هي المجتمع، صورته، الدولة، الحكام، حياتهم، قصصاً قد تكون حدثت فعلاً زيَّنها مَنْ رواها بحقائق وأخيلة، بصورة واقعية لا زيف لها مما كان الشعب يشكو منه أو يرجوه امتزجت فيه الحقيقة بالخيال بانسجام لا تشويه فيه، صور طبيعية من البيئة نفسها حتى أن بعض هذه الأفكار لا يزال يتردد في بعض المجتمعات حتى عصرنا الحاضر.

الأسطورة العربية

والأسطورة كلمة يحيطها سحر خاص، يعطيها من الامتداد ما لا يتوفر لغيرها من الكلمات، إذ إنها توحي بالامتداد عبر المكان والزمان، وتوحي بالغطاء المجنح لعقل الإنسان ووجدانه، توحي بالحلم حينما تمتزج الحقيقة بالخيال، حلم يثري واقع الحياة بكل ما يغلفه ويطويه في إسار من الوهم ليخلق منه دنيا جديدة هي تهويم الطموح الإنساني نحو المعرفة ونحو المجهول.

وعرفت الشعوب كلها الأساطير ومنها تسربت ألوان الأدب، وعرفتها البشرية لتحكي فيها أحلامها وآمالها وترسم دنياها المليئة بالتطلع إلى المعرفة. ومن السهل أن نعثر على بذور الأساطير في جميع أنحاء الأرض، فنجدها عند شعوب الحضارات القديمة وعند الشعوب البدائية في عصرنا الحاضر، فصاغوا أساطيرهم في أكمل صور فنية وغذّوها بخيالهم فكسوها بالبهاء والروعة.

ونشأت أنواع الحكايا الخرافية والأساطير أول ما نشأت في بلاد الهند، وكانت في الأصل حكايا بوذية تحكى لأغراض تعليمية، ثم انتشرت في أوربا عن طريق العرب.

وعرف العرب العديد من الأساطير التي وجدت قبل الإسلام وتداولها الناس، منها ما كان يطبق في المعابد والهياكل من طقوس وما صاحبها من ابتهالات وأدعية، وهي ما عرف بـ «سجع الكهان»، وأفادت هذه الأساطير كثيراً في مرحلة التمهيد للإسلام، فكان على الأديب العربي لكي يُدخل الإسلام إلى قلوب أبناء الجزيرة أن يستعمل فنه وأدبه في إثبات ما انتهى إليه عبدة الأوثان والأصنام والنجوم كما حدث في أمر هبل والقداح إذ نذر عبد المطلب أن يقدم أحد أبنائه ضحية لهبل إذا انبثقت ماء عين زمزم.

وتقول الأسطورة إن عبد المطلب دعا ربه عند هبل أن يقدم أحد أبنائه العشرة عند «آساف ونائلة» واختير عبد الله لوفاء هذا النذر، وأشار عليه القداح - وهو رجل عنده ثلاثة أقداح واحد يقول فيه - نعم - وآخر - لا - والثالث لا شيء. وينفذ الأمر إن قال القدح - نعم - ولا ينفذ إن قال - لا - ويعاد الضرب إن جاء في القدح الثالث حتى يثبت على «نعم» أو «لا».

وضرب القداح لعبد المطلب - ابنه عبد الله أو عشرة من الإبل فأشار القدح إلى عبد الله، وزيد عدد الإبل إلى عشرين وضرب القداح مرة ثانية، ومرة ثانية أشار القدح على عبد الله، واستمر عبد المطلب يزيد في عدد الإبل مقابل عبد الله حتى بلغت المئة فداءً لعبد الله.

وقد حفل القرآن الكريم بالأساطير مما قبل الإسلام فكانت أساطير الزمان والمكان والشخصيات، كما حدث في أسطورة «الفيل» وأسطورة «سيف بن ذي يزن» ووزيره «يثرب» وقد أراد هدم الكعبة فأصابه مرض وورم صعب... ونجا من هذا الورم عندما آمن بالبيت وربه. والمدهش أن سيرة «سيف بن ذي يزن» مملوءة بالتفسيرات الأسطورية حول أسماء الأماكن بخاصة المدن المصرية، فأبناء الملك سيف هم: مصر وقد بنى مصر، ودمر وقد بنى الشام، وزوجته الملكة «جيزة» وابنته «أخميم» ومن فرسانه: دمنهور الوحش، ومن علمائه: أخميم: الطالب.

فسيرة «سيف بن ذي يزن» عمل ملحمي يدور حول النيل وهي من أبرز السير الشعبية التي حفظها لنا الضمير الشعبي الفني العربي، وهي ملحمة نثرية شبيهة بتلك الملاحم الكثيرة التي عرفتها أوربا في العصور الوسطى، وهي آخر عمل يدور حول نهر النيل.

وتقول أحداث السيرة إن مهمة «سيف بن ذي يزن» الأولى هي إحضار كتاب النيل الذي يحتجزه الأحباش في بلادهم، وقد خيل لهم أنهم باحتجازهم هذا الكتاب واستيلائهم عليه يحجزون النيل عن مصر. فإذا جاء «سيف» واستولى عل الكتاب جرى ماء النيل وأنشأ مصر التي سماها باسم ابنه البكر، ويؤكد أن حق مصر بالنيل قد تأكد باسم الفتح لأن سيف استولى على كتابه بحد السيف.

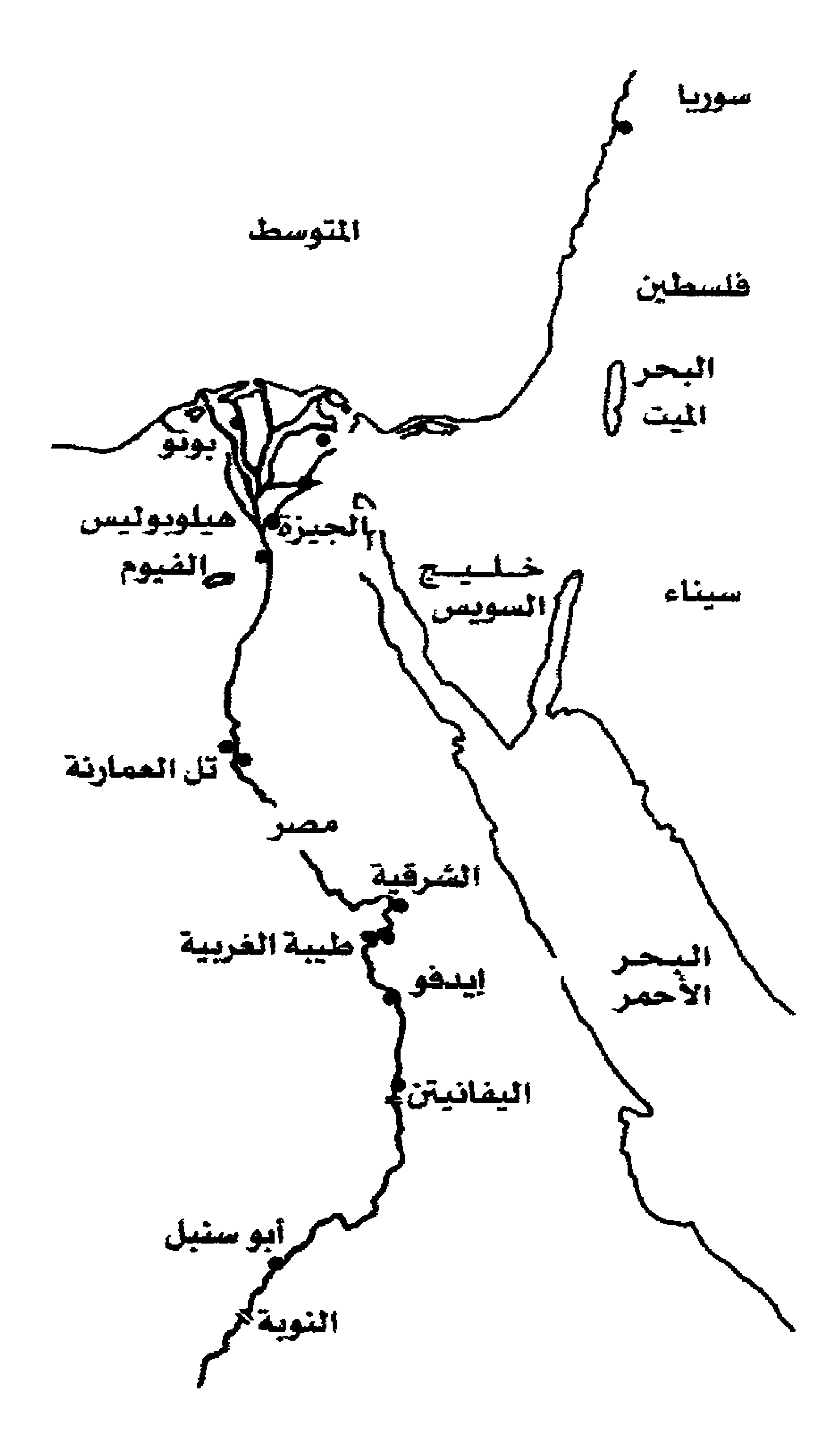
ورحلة «سيف» إلى منابع النيل مليئة بكل ما يمكن أن يتخيله القاص الشعبي والكاتب الأسطوري من الخوارق والسحر والكهانة، وقد استعان في رحلته بالجان وأدوات مطلسمة: كسيف آصف بن برخيا، وطاقية الإخفاء، وسوط «سام» بن «نوح». والنيل هو المحور الأساسي لهذا العمل، ووادي النيل هو موطن أحداثه في الشمال مع ما فيه من مقابر فرعونية وتماثيل ومن مجاهيل ووحوش مرعبة وظواهر خارقة. وقد جمعت هذه الأسطورة كل البقايا الأسطورية عند القاص العربي حول وادي النيل كله. فالأحداث تدور داخل المعابد، وبعضها يستغل المسلات والتماثيل، كما أنها تدور في بلاد الحبشة وقلب أفريقيا حتى تصل إلى جبال القمر، حيث منابع النيل ومكمن كتاب النيل.

وعادة ما نجد في الأساطير مشاعر إنسانية جياشة وأحاسيس وتصورات ومواقف تطلعنا على فلسفة الإنسان في الوجود، وعلى محاولاته الفكرية الأولى تتضمن خلاصة تجاريه وماضيه ومفاهيمه وتعامله مع واقعه، وفق منطق خاص ومضامين أخلاقية صيغت في قوالب أدبية توارثتها الأجيال، وعدلت فيها وأضافت إليها، مما جعل الأسطورة مجال عمل دائم لا يتوقف. فهي حفرية حية على الرغم من أنها تأكل بعضها وتتناسخ وتتكرر، ولها تاريخ حي يمكن قراءته في تفاصيلها التكوينية. فنحن نتعامل مع كائن حي يعيش منذ آلاف السنين، بما دخل عليه من تبدلات على أن نملك الأدوات اللازمة لقراءة حركات هذا الحي القديم العريق. فالأسطورة تسجيل للوعي واللا وعي الإنساني وقد أخذت مساراً تطورياً بطيئاً. ويمكننا أن نجد فيها مظاهر سلوكية لا معقولة ولا مبررة لا تفسر إلا بالبحث عن جذورها بحسبانها ذلك الحفري الحي الذي يصر على الاستمرار عندما يشعر بأنه مهدد، وأنه سيتبدد تحت وطأة عناصر ثقافية أخرى أقوى منه. كما حدث عندما بدأ الدين يفرض سيادته على الفكر، فصار يتخفى بأردية دينية تتلاءم مع المستوى المعرفي الجديد ولا يزال هذا الأحفور حياً حتى يومانا هذا.

فاطمة عابدين

حكايات وأساطير من مصر القديمة

إحدى البلاد الأقدم في العالم



صحراء مترامية الأطراف، جبال صخرية، رمال على مد النظر، تحت شمس حارقة، حيث تصول وتجول حيوانات شديدة الخطر، من أسود وضباع وأفاعٍ وأبناء آوى...

ونهر... هو النيل يرسم وادياً طويلاً رائعاً وسط هذه المنطقة الموحشة ليجعل منها - وبهمة رجالها الأشداء - بلاداً من أغنى بلاد العالم.

وبزغت مصر... منذ ما يزيد عن خمسة آلاف عام، وعرف المصريون الكتابة عندما لم يكن يعرفها أحد في العالم. وأطلقوا على بلادهم اسم «الأسود والأحمر» أحمر بلون هذه الصحراء، وأسود بلون هذه الأرض الطيبة، الطمي الذي يجرفه النيل بسخاء، عندما يفيض لبضعة أسابيع في العام. ولولاه لا يعود أي شيء ممكناً، فهو الذي يقدم للسكان المزدحمين على ضفافه الماء الضروري للإنسان والحيوان والحقول كما يقدم لهم الأسماك اللذيذة، شرط أن يحترسوا من أفراس النهر والتماسيح الخطرة.

والنيل هو الذي يربط الأرضين معاً، الأرضين اللذين تتألف منهما البلاد، وادي مصر العليا، ودلتا مصر السفلى، بلاد المستنقعات والسهوب.

ولا يصب في النيل أي رافد له في أرض مصر، فيضيق واديه فلا يعدو ثلاثين كيلو متراً عرضاً فلا ترى من حولك إلا الصحراء وهي شيء أساسي في حياة المصريين!.

أليست الصحراء موطن العنقاء والأفاعي المجنحة والبهائم؟ أليست هي التي اغتذت منها أساطيرهم وحكاياهم؟!

ويبدأ تاريخ مصر مع «مينا» أول فرعون حكم مصر، وقد تشكلت الإمبراطورية القديمة بين عامي ٢٧٨٠ - ٢٢٨٠ق.م. فكان الفرعون حاكماً مطلقاً يسود ويتحكم في أمور البلاد هو وأفراد عائلته وموظفوه يخضع الجميع لهم ويعملون من أجلهم. ومن الفراعنة ثلاثة بنوا الأهرامات الثلاثة الشهيرة: خوفو وخفرع ومنقرع. ذلك العمل الهائل الذي دفع الفلاحون ثمنه غالياً. وقد قبلوا بهذا العمل وتحملوه لأن فرعون هو ملك وإله في وقت واحد ولولاه لما وجدت الحياة.

أما الإمبراطورية المتوسطة، فقامت بين ٢٢٨٠ - ٢٠٥٢ق.م، فقدت فيها مصر وحدتها وانقسمت إلى ممالك صغيرة متعددة ومستقلة، وقدم البدو من الصحراء ليزرعوا الرعب في البلاد فسادت الفوضى وحكم فيها سبعون فرعوناً في سبعين يوماً كما قيل.

وفي عام ٢٠٥٢ - ١٧٧٨ق.م وضع فرعون مصر «أمنحوتب» حداً لهذه الفوضى وأعاد توحيد البلاد. وتوسع حلفاؤه نحو الجنوب، فشادوا القلاع الحصينة لحماية البلاد وأرسلوا البعثات نحو الشمال فازدادت ثرواتهم وعادوا ليبنوا الأبنية الضخمة، وشجعوا الفنون بجميع أشكالها، فقام الصياغ بإبداع مجوهرات رائعة، وأبدع الفنانون والنحاتون تماثيل بمنتهى الروعة، وقام الكتبة بنسخ أروع الحكايا والقصص بمنتهى الدقة والتأني.

أما في المرحلة التالية ما بين ١٧٧٨ - ١٥٦٧ق.م. هاجم الهكسوس القادمون من آسيا الصغرى مصر وعاثوا فيها فساداً وخراباً - لكنهم أضافوا لثرواتها عنصراً جديداً وهو الخيول.

الإمبراطورية الجديدة، ١٥٦٧ - ١٠٨٥ق.م. في هذه المرحلة قام أمراء طيبة بمحاربة الهكسوس ومن أشهر ملوكهم - رعمسيس الثاني - وقد وسعوا مملكتهم وبنوا القبور الرائعة والمعابد والقصور. ومن أشهر فراعنة الأسرة الثامنة عشرة «أمينوفيس الأول» وهو ابن الفرعون «أحمس» وفي عهده توسعت المملكة حتى نهر الفرات. وجاء بعده «أمينوفيس الثاني» الذي حكم مصر بين ١٤٥٠ - ١٤٢٥ق.م. وهو ابن تحوتمس الثالث.

وجاء بعده أمينوفيس الثالث وحكم مصر، بين ١٤٠٨ - ١٣٧٢ق.م. وهو ابن تحوتمس الرابع وشهدت البلاد في عهده حكماً عادلاً.

أما أمينوفيس الرابع وقد أطلق عليه اسم «أخناتون» فقد حكم مصر ١٣٧٢ - ١٣٥٤ق.م. وهو ابن فرعون وزوج نفرتيتي. وقد اعتنق عبادة الرب الواحد وهو «آتون» إله العالم كله الممثل بقرص الشمس، وهو أول من نادى بالتوحيد. لكن هذا الدين لم يستمر من بعده، فقد أراد أخناتون أن يكون لهذا العالم إله واحد وذلك في القرن الرابع عشر ق.م.

وكتب «أخناتون» قصيدة طويلة تعظيماً لهذا الإله الواحد. وهي قصيدة مهمة جداً، فقد كتبت من وحي ديني سامٍ جداً ومن إحساس عميق بالطبيعة، لكن هذه المحاولة لم تستمر من بعده أبداً. وقال:

كم تتألقين جمالاً في أفق السماء

أيتها الشمس الخالدة منذ الأزل

عندما تبزغين في الأفق الشرقي

تسبغين جمالك على كل البلاد

وعندما تبغين الارتحال

على حافة الأفق الغربي

تغدو الأرض ظلاماً كأنه الموت

تخرج السباع من مكامنها

وتبدأ الأفاعي في لدغ البشر

يخيم الظلام، وتصمت الأرض... لأن

من يقدم كل شيء للحياة

يسترح خلف الأفق

وعند الفجر - عندما تعودين للظهور

في أفق السماء

تسطعين خلال النهار

ترسلين أشعتك

فيصحو ناس الأرضين

يقفون على أقدامهم

بسببك نغسل أجسامنا

وبسببك نرتدي ثيابنا

نفتح ذراعينا، لنعبد بهاءك،

سكان الأرضين ينهمكون بأعمالهم

الحيوانات تستمتع بأعلافها

تخضر الأشجار والنبات

تطير العصافير خارج الأعشاش

تفتح أجنحتها كأنها لتعبدك

تقفز الحملان على قوائمها

ويطير كل ذي جناح

كل شيء يعيش ويحيا

لأنك بزغت من أجله

كثيرة أعمالك التي لا نراها

أيها الإله الذي لا شبيه له

لقد خلقت لنا الأرض

وفق قلبك... ومشيئتك.

لأنك أنت الإله الوحيد

خلقت الإنسان والحيوان...

والحيوانات المفترسة

وكل من يمشي في الأرض على قدمين

وكل ما يطير في السماء على جناحين

جاءت الأرض إلى الوجود

على يديك

وكما أردت لها

إن بزغتَ عاشت الكائنات كلها

وتموت كلها

إن غربتَ

ومن ثم تعرضت البلاد لموجات جديدة من الاحتلال وقامت فيها ثورات عديدة، وعرفت البلاد مرحلة جديدة من الاضطرابات، كما خضعت مصر بعد ذلك لحكم الفرس، ثم اليونان، ثم الرومان.

وفي مصر القديمة حضارة رائعة طبع كل شيء فيها بطابع ديني وتجمعت فيها كل الحياة حول ذلك النهر المحسن «النيل»، أما الفرعون، فهو إمبراطور بلاد التاجين، إنه رجل، لكنه ابن الإله «رع» ملك الآلهة... لذا فهو أيضاً إله. وهو العلاقة الحية بين الإنسان والآلهة. ومصر هبة النيل ولولاه لما وجدت أصلاً، وهي كذلك هبة من فرعونها ولولاه لما وجدت أيضاً، فالإله، هو الذي يأمر بفيضان النهر. ويدير الفرعون شؤون البلاد من قوانين وعدالة وإدارة، فيرتبط به كل شيء، مئات من الموظفين في القصر وفي الضواحي يساعدونه في الإدارة وينفذون أوامره.

وفي مصر القديمة عدد كبير من الآلهة، فهناك منها المئات يجعلونها على شكل أسر وعائلات، فمثلاً هناك «أوزيريس» وزوجته «إيزيس» وابنهما «حورس» كما أن هناك آلهة خاصة في كل بلد، فتكون أحياناً على شكل إنسان أو نصف إنسان ونصف حيوان، أو على شكل حيوان كامل. «فحورس» على شكل حيوان و «تحوتمس» نصف إنسان ونصف حيوان، وله رأس صقر. ولكل إله عمل معين، فالإله «شو» هو إله الريح وهو الذي يفصل بين «جب» الأرض عن زوجها «نون» وهو إله السماء.

الديانة المصرية والعالم الآخر

اعتقد المصريون القدامى أن الإنسان بعد أن يموت يعيش في قبره إلى الأبد، فهو يحتاج هناك إلى كل الأشياء التي كان يحتاج إليه في حياته، يأكل ويشرب ويتسلى، يرتحل ويتنزه بالمراكب إلى واحات العالم الآخر، ولكن، كان عليه أيضاً أن يعمل، ولكنه يتهرب من الواجب غير المحبب، كأن يضع في قبره عشرات من التماثيل الصغيرة التي كانت تقوم بالعمل بدلاً منه، فللسحر فوائد في بعض الأحيان.

كذلك كانوا يعتقدون أن الموتى لا يصلون إلى الحياة الآخرة إلا إذا كان جسدهم سليماً تماماً. لذلك عليهم أن يحفظوه، فقاموا بحفظه بطريقة بالغة التعقيد... لكنها فعالة وتسمى «التحنيط» والمحنط هو المومياء، فينزع الدماغ من جسد المتوفى والأمعاء أيضاً، وتحفظ في آنية خاصة. ويوضع الجسم بعد ذلك في مغطس من القطران مدة سبعين يوماً والقطران هو نوع من الملح، كي يجفف الجسم ويلف بضمادات من قماش ناعم. وفي الماضي القريب تحققت المحاولة الأولى لدراسة التحنيط الأولى علمياً في السويد، فقد انتزعت قطعة من «DNA» (خلية تحمل الخواص الوراثية الجينية) انتزعت من خلية من الساق اليسرى من مومياء عمرها ألفان وأربعمائة عام، مومياء لطفل مات قبل أن يتم العام الأول من عمره، وأعيدت الحياة لهذه الخلية بإدخالها في بكتيريا حية، حيث تكاثرت من جديد، تلك هي الحالة في حفظ المومياءات والتطور التقني المذهل في علم الأحياء الخلوي الذي أوصل إلى تلك النتائج المذهلة والمثيرة،

والملامح المثيرة لهذه الأعمال هي عملية «البعث» من خلية من «DNA» التي ظهر أنها بادت، ولكنها كانت في حالة سبات أو حالة تحجر منذ ٢٤ قرناً.

أما القبور والأهرامات فقد رغب الأثرياء من المصريين في أن تكون قبورهم مريحة إلى أكبر حد ممكن، سيما أنها ستكون مأوى أبدياً لهم. فوضعوا فيها كل ما يحتاجون إليه من مجوهرات دقيقة الصنع ومنارات أرضية وأوانٍ ذهبية حتى سلال الفاكهة. أما الفلاح فكان يكتفي بوضع بعض الأغراض والأواني لأنه يعيش بعد الموت في حفرة في الصحراء. فكان الفراعنة يبنون لأنفسهم أضرحة هائلة يختارون لأنفسهم أهرامات أو قبوراً حفرت في الجبال، وزخرفت باعتناء وتقام إلى جانبها دور عبادة يأتي إليها الأحياء يضعون الطعام والشراب للمتوفى، إذ يجب أن لا ينقصه شيء.

أما الكهنة فهم خدم الآلهة يهتمون بتمثال الإله ويحافظون عليه، ويغتسل الكاهن ويحلق لحيته ويرتدي إزاراً من الكتان الأبيض دون أي قطعة من جلد أو صوف حيوان. وللكهنة نظام دقيق في حياتهم، فهم يقومون بخدمة الآلهة شهراً واحداً ثم يعودون إلى قريتهم ليعيشوا حياتهم العادية كبقية الناس ثلاثة أشهر متتالية ثم يعودون لخدمة الآلهة شهراً آخر... وهكذا...

ويلعب السحر دوراً أساسياً في حياة الناس في كل يوم، فالسحر يحمي الناس ويحمي الفراعنة ويحمي الآلهة، والكتبة هم الذين يسجلون آيات سحرية على ورق البردي، ثم يقومون بثنيها ليصغر حجمها ويعلقونها في رقابهم لتحميهم من الحوادث والأمراض والحيوانات الخطرة وكل الأعداء.

واستعمل المصريون جميعاً من فلاحين ونبلاء هذه التمائم حتى الفرعون نفسه، يلجأ إلى السحر ليتأكد من النصر على أعدائه قبل أن يخوض الحرب. فيصورونه جالساً يدوس بقدميه أعداءه المهزومين والمقيدين ويعتقدون بأنهم إن رسموه فقد خلقوه... لذلك فإن الفرعون سوف ينتصر.

الكتابة

من خلال تاريخ الإنسانية الطويل كان المصريون من أول الشعوب التي اخترعت الكتابة - كتابة تألفت من مئات الأحرف والعلامات والصور، أطلق عليها اسم الكتابة «الهيروغليفية» وقد حافظت تلك الكتابة على سرها إلى أن اكتشف العالم الفرنسي «شامبليون» سرها في مطلع القرن التاسع عشر.

وكان الكتبة فقط هم الذين يعرفون القراءة والكتابة، فكانوا يكتبون في كل شيء يخدم المعبد أو لأمر فرعون. ومهنة الكتابة مهنة رائعة تبقي أيادي الكتبة بيضاء دائماً ونظيفة، ولا يدفعون الضرائب. فهم يراقبون ويكتبون، وهم فخورون بذلك.

نهر النيل

ينبع نهر النيل من قلب أفريقيا ويجتاز ٦٥٤٠كم قبل أن يصب في البحر الأبيض المتوسط، ويترك النيل مجراه الصخري الضيق شيئاً فشيئاً ويزداد اتساعاً في الشمال ويكسل قبل أن يصب في الدلتا. يفيض النيل في فصل الصيف، فيفيض عن مجراه الضيق ليضع - وببطء - طبقة من «الغرين» على ضفتي الوادي الغريق. وللنيل قيمة كبرى بالنسبة للمصريين، فهو وسيلة للنقل البحري على المراكب ويؤمن للمصريين الماء والأسماك.

أما وسط مصر فهو تلك الحقول الكبيرة على جانب النهر والمراكب تمخر عبابه بدون انقطاع بالشراع أو المجاديف حسبما تمشي الرياح أو التيارات لتنقل كل شيء، من حبوب، جرار الخمر، الجنود، الحيوانات، الأحجار، الفراعنة، الأحياء والأموات.

ويدرك الملاحون خطورة النهر فلا يبحرون فيه ليلاً، إذ لو غرق المركب قرب الشاطئ الرملي لالتهمتهم التماسيح الجائعة.

ورق البردي

ينمو نبات البردي في دلتا النيل في البرك والمستنقعات ويستخدمه المصريون بشكل رائع، فيقطعونه إلى شرائح رقيقة يلصقونها ببعضها ويستخدمونها في الكتابة، وقد اشتقت كلمة ورق بالفرنسية من ورق البردي - Papeir، وإذا ضفرت خيوطه يصنعون منها سلالاً وأكياساً وصنادل، أما سوقه فإذا ربطت ببعضها بدقة أمكن صناعة سفن ومراكب نهرية خفيفة منها.

وقام المصريون القدامى بتربية الحيوانات الأهلية من غنم وماعز وخنزير وجاموس وبط، وبقي الفلاحون دائماً تحت رحمة أهواء الطبيعة، فتجتاز التماسيح حقولهم ويخربها الجراد والجرذان، ويتعرض السكان فيها إلى لدغات قاتلة من الأفاعي والعقارب. أما في البرك والمستنقعات فهناك هدوء لا يعكر صفوه إلا الصيادون، وهناك تعيش النعام والظباء والوعول التي ترعى هناك الأعشاب اليابسة، وتتربص بها الضباع لتفترسها، لكنهم لم يكونوا يعرفون الإبل أبداً.

وكان الشعب هناك يتغذى على الخبز والبيرة وبعض قطع من البصل أما الفراعنة والكهنة والنبلاء والكتبة فكانت لهم مائدة مترفة من اللحوم والطيور والخبز والمعجنات والعسل والتمر والتين والعنب وكل أنواع الخضار. لكننا لم نعرف كيف كانوا يطهون هذه الأطعمة، إذ لم يسجل الكتبة طريقة ذلك مع الأسف. وقد تفنن المصريون بصياغة المجوهرات التي كانوا يجدون صعوبة كبرى في الحصول على مادتها الأولية. ويمكن أن نتصور عناء العمال الذين يستخرجونها وبسالة الجنود الذين ينقلونها بصبر وأناة والصاغة الذين يصيغونها بدقة تامة، فهم يحضرون العقيق الأحمر من بلاد النوبة فيستعملونه مع اللازورد الأزرق الذي يستوردونه من آسيا ويجلبون الفيروز الأزرق من الصحراء الشرقية والدهنج والزمرد الأخضر ولا ننسى أن نذكر الذهب. وفي قصور الملوك كان الموسيقيون يعزفون على القيثارة ويغنون وترقص الفتيات للترفيه عن الفرعون وتسليته مع

رجالـه، وكافـة عناصـر الـبلاد يـرافقهم في ذلـك عـازف «الكلارنيـت» والنـاي والطبول.

أما في المعابد، فكانت الاحتفالات تجري على أنغام القيثارة والمزهر، واختار الجيش صوت البوق للإعلان عن المسير. تلك هي أنواع الموسيقى التي كان رجال البلاط يتمتعون بها. ولكننا مع الأسف لم نعثر على أي تسجيل لهذه الألحان التي كانت تعزف في ذلك الحين.

أما التقويم عندهم - فكانت السنة تتألف من ٣٦٠ يوماً في آخرها خمسة أيام إضافية، وتضم ثلاثة فصول هي: فصل الفيضان، فصل الشتاء، وفصل الصيف، وهي أربعة أشهر في كل فصل. ويستمر الليل والنهار أربع وعشرين ساعة، وساعات النهار في الصيف أقصر منها في الشتاء... وفيما بعد أضاف اليونان أن في الساعة ستين دقيقة مهما يكن الفصل.

أمـا الحيـاة العسكرية هنـاك فكـان الجنـود النظـاميون هـم الـذين يحـاربون ويساهمون بالأعمال الصعبة، كبناء الأهرامات والمعابد والبعثات الخارجية البعيدة التي يستوردون فيها المحاصيل الثمينة، كالأخشاب واللازورد والفضة، كما أن بعضاً منهم كان يقوم بأعمال الشرطة في الصحراء يمارسون نظاماً عسكرياً قاسياً، يـرافقهم صوت البوق في كل أعمالهم... وفرعون هو حتماً القائد الأعلى لهذا الجيش الكبير مما لا شك فيه.

الأساطير المصرية

رع

أول فرعون لمصر



الأولاد لا يزالون نائمين والرجال والنساء أيضاً.

بدت أرض مصر هادئة ساكنة... ومع ذلك فهناك من جهة الشرق، يضطرب الخدم ويتهامسون في قصر الأمير...

وأنت... أيها الرجل القريب، نهضت قبيل الفجر تدعك عينيك محاولاً أن تخترق الجدار بنظرة ثاقبة موجهاً أذنيك، تنتظر المعجزة، بانتباهك الشديد وصبرك الطويل تدرك حركات الخدم الخفية وتلحظ الأسرار المتداولة في قصر الأمير.

لم يحن الليل بعد، ولم يسدل ستارة، ولم يبق النهار تماماً... و«حورس» الكبير الإله «أبو منجل» أغلق الآن عينه اليسرى، وفيها القمر ويستعد ليفتح عينه اليمنى التي سيطل منها «رع» عصفور الشمس الذي ينهمك حوله كل الخدم في قصر الأمير كما يفعلون كل صباح.

سيكون النهار صعباً وعليهم أن يشبعوا شهية «رع»، فقاموا بذبح ثور قطعوه قطعاً صغيرة، وجهزوا أدوات الشواء، وأعدوا السلطات، وقاموا بشي الإوزات على الأسياخ.

والنهار طويل أيضاً وعلهم أن يرووا سغب «رع» فحضّرت البيرة في الجرار، وصُب الشراب والخمر في الأقداح.

انحنى العمال أمام الملك وحيوه قائلين: «سلام عليك أيها الملك الطيب، تنهض من دون انقطاع، وفي كل صباح ترسل أشعتك الخيرة فوق رؤوس شعبك الذي لا يعرف كيف حدث ذلك، لا يتوقد الذهب مثلك، ولا يتوهج كما تتألق».

والآن... يستيقظ الأولاد والرجال والنساء أيضاً، وتضاء أرض مصر شيئاً فشيئاً، ثم تضطرب فيها الحياة.

من هناك... من جهة الشرق، يخرج «رع» من قصر الأمير تحيط به الآلهة والإلهات، التي تشكل موكبه فتفسح له الجماهير الطريق وهي تهتف له وتصفق عندما يمر رائعاً متألقاً.

تنهض الحيوانات بعد سباتها الليلي فترقص الآلاف منها فرحة برؤيته وتأخذ النعامات بالدوران كالخذاريف على شاطئ النهر، كما تستقبله قرود لها رؤوس كلاب تسلم عليه وتحييه.

ويصعد «رع» إلى مركبته ومعه حاشيته فينزلق المركب في المحيط الكبير المستدير. ومن ثم يبتعد المركب عن شاطئ الفجر لينقل طائر الشمس عبر الشرق لأطراف العالم المتوسطة. وبعد ست ساعات من مغادرته يصعد إلى مركبة أخرى لست ساعات قادمة متجهاً نحو حافة المساء من جهة الغرب، وهكذا يسافر «رع» لاثنتي عشرة ساعة كاملة يتأمل فيها ما جاء على خلقه مجتازاً مصر «بلاد الأرضين» وبين فترة وأخرى تراه يقبل على بعض المناطق يقيم ساعة في كل منها ينظم أمورها ويعقد اجتماعاً للصغار، وآخر للأقوياء في هذا العالم ليهدئ من ثورتهم ويزيل خلافاتهم ويقضي في محاكمهم، فيعطف على شعبه ويرحم عذابه، يمنحهم الأراضي ويخفف من آلامهم.

فإذا خشيت من لدغة الأفعى ذات الذنب الأسود فإن «رع» يهديك إلى صيغة تجعل الأفعى تهرب منك، أما العقرب فهو عدو الإنسان وخصم الآلهة... إذا لدغك عقرب وأنت تسير في درب منعزلة فإن «رع» يلقي عليه سحراً يجعل مفعول السم باطلاً ومحايداً وطبيعياً.

أما الآن، «فقد هجع الأطفال والنساء والرجال وغرقت مصر في الظلام».

وأنت... أيها الغريب، عليك أن تنتظر حتى الصباح لتستطيع أن ترى «رع» من جديد. لأن «رع» طائر الشمس يكون قد غرق في فتحة «نوت» القبة السماوية، لكي ينقل جسده خلال الليل في المركب على عدة مراحل.

ويرافق «رع» في كل سفرة من رحلاته موكب كامل.

بحارة في الأمام - تراقب المياه وتتنسم الريح، وعريف بحري يصدر أوامره إلى البحارة الذين يعملون في مؤخرة المركب، وستة آخرون من البحارة المهرة يعملون على المجاديف والعصي.

وأثناء رحلة الليل يبقى العمال على المركب متيقظين وحذرين لأن الأفعى «أبوبيس» تلك الأفعى الهائلة تختفي في الليل وتلتهم المركب. وقد تنتصب في طريق الإله وهي تفح...

عندها يلجأ البحارة للسلاح فيقاتلون الأفعى ويخزونها بالحراب محدثين فيها آلاف الجراح حتى تنهار وتسقط في الهاوية.

وقد يظهر هذا الوحش على غير انتظار في أي ساعة من ساعات النهار، للحظة ما من ساعاته الاثنتي عشرة، ليلتهم «عصفور الشمس» فيقاتل البحارة بقوة وصمود.

عندها، تظلم السماء، وعندما يرى الناس رجالاً ونساءً أن شمسهم تضعف وتغيب، يضطربون ويأخذون بالصياح، يدقون على صدروهم ويضربون على آلاتهم الموسيقية، يقرعون الطبول، ويدقون على أدوات معدنية لإحداث ضجيج شديد ليرهبوا به الوحش...

وأخيراً، يعود «طائر الشمس» للظهور بكل ألقه وروعته، فقد تغلبوا على الكسوف وعادت مصر تتنفس من جديد.

ويقولـون: لا يوجـد كنـز لا ينفـذ... فـإن الإلـه «رع» بـدأت ثروتـه بالنفـاذ لكثـرة عطاياه للناس ومحاولة ترفيههم، إذ بذل الكثير من نفسه - كما أن الشيخوخة داهمته - لقد فعلت ذلك ببطء حقاً لكن ذلك بشكل أكيد.

وقست عظام الإله فتحولت إلى فضة وتحولت عضلاته إلى ذهب وتحجر شعره على شكل لازورد أزرق بلون البحر. وتقوس ظهر «رع» بعد هذه التحولات فانحنى ظهره وأخذ يسير متكئاً على عصاه، وأخذت شفتاه ترتجفان ليخرج منها زبد يسيل من شدقيه حتى يبلغ الأرض.

وجاء يوم... لاحظ الناس حالة الوهن الشديد الذي أصاب «طائر الشمس» وأدركوا خطورة ذلك الوهن الذي يحاولون التخفيف منه.

- انظروا... كيف عجز جلالته! انظروا -

- إنه يقف بصعوبة كبيرة -

- إنه لا يستطيع السير إلا والعصا معه.

وتظاهر «رع» بأنه لا يسمع كل هذه التعليقات.

لكن الناس أخذوا يتكلمون أكثر فوق أرض مصر - فأراد أن يتصرف: وجمع حاشيته، وقال:

- احضروا لي حالاً عيني الإلهية: احضروا: سحو وتفنوت وجيب ونوت. أمهات الآلهة وآباؤها من كانوا معي عندما كنت في المحيط الأساسي قرب الإله «نون» وبلغوهم بمنتهى السِّرِّيَّة أنني سألتقي بهم في قصر الأمير.

وجاء أجداد «رع» جميعهم كما جاء أولاده «سحو وتفنوت» وحضر أحفاده «جيب ونوت»، واصطفوا حوالي العرش الذهبي وسجدوا له كما تقضي بذلك التقاليد ولامست جباههم الأرض، وتكلم «رع»:

- آه - يا نون! أنت والآلهة القديمة: اسمعوا ماذا يقول عني أولئك الذين ولدوا من عيني، فجرؤوا أن يهاجموا ويتعرضوا لشخصي، أريد أن أعاقبهم بالقتل، فماذا تقولون في ذلك؟

وتحدث «نون» فهو الأكبر سناً بين الجميع:

- يجب معاقبة المذنبين حتماً - ولكن هناك محاكمة عادلة يجب أن تتم، وتجرى لهم حسب الشكل المألوف... أنت الإله الأكبر من كل الآلهة التي خلقتها، وإن عينك يمكنها أن تتصرف بشكل شرعي، وأن تزرع الرعب بين من جرؤ على عدم احترامك.

- لقد سمعت نصيحتك ولكن ما أخشاه أن رأى هؤلاء الناس آلة العدالة أن يصابوا بالهلع، فإذا فروا من محكمتنا أن يهربوا ويلتجئوا إلى رمال الصحراء، وأنت تعرف أنها أراضٍ محرقة وقاحلة لتكون مأوى آمناً لهؤلاء الفارين.

ونظرت الآلهة إلى بعضها بعضاً وهزت رؤوسها! أي نقد يمكن أن يوجه إلى هذا؟ واتفق الجميع أن حجج «رع» مقبولة. وقر الرأي على التنفيذ من دون إبطاء، وقالوا له:

- إن الجلاد سيكون «عينك» المقدسة، إذ لا أحد يُرهب سوى تلك «العين»عندما تغضب وتغدو اللبوة «سحمت» وبدأت المعركة:

ها هو حيوان مفترس يزأر وتنطلق من إسارها على الناس هؤلاء الحشرات الصغيرة... تقتلهم بمخالب كالسكاكين هنا أو هناك، مذبحة وحشية وقتل.

وقفزت اللبوة «سحمت» وزمجرت... وتلونت أرض مصر بالدماء، وتتابعت المذابح واستمرت طويلاً... وقرر «رع» أن يتدخل وقال:

- أوقفوا حالاً هذه الإبادة الجماعية فأنا لم أرد تدمير هؤلاء الأطفال إنما أردت أن أعاقبهم فقط، وردت اللبوة:

- ولكن ألم تتحدث عن مذبحة!؟ أبعد أن انتشيت من دماء البشر تريدني أن أتوقف وتحرمني من هذا الشراب!؟ كان يجب أن لا تدعني أتذوقه أصلاً.

كانت ثائرة يرغي الزبد بين شدقيها وتابعت عملها القاتل الذي بدأته حتى في «هليوبوليس» نفسها. وعندما وصلت إلى «هير الكيوبوليس» حل الليل فقررت أن تهدأ لتنال بعض الراحة، وقد وعدت نفسها بمتابعة العمل الذي بدأته، كان يوماً مأساوياً بالنسبة لـ«رع» وفي الصباح التالي تابعت اللبوة عملها.

وطلب «رع» أن يؤتى له برسل سريعي الخطى خفيفي الحركة على جناح الريح، فحضروا وأمرهم «رع» أن ينطلقوا بسرعة إلى «الفانتين» وأن يحضروا كمية كبيرة من نبات «اليبروح» بسرعة كبيرة فالزمن يمر سريعاً ونحن في عجلة من أمرنا.

وتلقى طحان «هليوبوليس» أوامر بأن يسحق النبات، وتطحن الخادمات دقيق الشعير ليصنع منه الجعة، ثم يوضع مسحوق النبات مع الجعة ودماء البشر في سبعة آلاف جرة، وتذوق «رع» الشراب وقال:

- إنه لذيذ، وفيه من الفوائد ما كنت أنتظره - هكذا أستطيع أن أنقذ الناس، هيا يا أتباعي انقلوا هذه الجرار إلى «هير الكليوبوليس» كي ترووا غليل لبوة ساغبة هناك. وقالت له الحاشية:

- إننا لا نزال في الليل، ورد الإله:

- سأتصرف - سأجعل الفجر يبزغ لبرهة قصيرة قبل الفجر الحقيقي - هيا انطلقوا!!

وفعلوا كما أمروا... وراحوا يجرون على خطى اللبوة الدامية وآثارها... وبالفعل سمعوا شخيرها قبل أن يروها. وفي فترة لاح فيها نور فجر أزهر، صبوا شراب المحبة على الأرض، فغمر السائل السحري الحقول والبساتين والأرض البراح على ارتفاع أربع أشجار من النخيل.

وبزغ الفجر ومددت اللبوة قوائمها الأمامية على شكل «أبي الهول» وفتحت عينيها ببطء وأخذت تتمطى كما تشاء، تحلم بأنها ستنعم بطعم المذبحة المقبلة... واشتمت الريح.

- أيها الإله «رع» لقد تلطفت هيئة الإلهة، وهدأت وغارت أنيابها، وراحت تعب من الشراب المنتشر حولها بنهم، وشربت، وشربت حتى أنتشت وسكرت ولم تعد تفكر أبداً بالبشر وبدا مبدئياً الخطر قد ابتعد، ولكن... قد يعود الهياج سريعاً عندما تتبرد أبخرة السكر عندها، قرر «رع» أن يقوم بكل ما يستطيعه مما يناسب الوضع. فرسم طقوساً وتعليمات ليعلم الأجيال القادمة تلك المأساة التعسة التي عاشها أجدادهم، ويهدئ من خيبة أملهم. فأصدر مرسوماً يتعين بأن يصنع الناس الجعة في يوم من أيام السنة... جراراً من شراب الحياة على عدد كاهنات «الشمس» وعاد السلام مؤقتاً... فالسلام لا يدوم، إذ إن حرباً سوف تقوم هنا أو هناك في هذه السنة أو غيرها. فلا يمكن التحدث عن النور إذا لم يوجد الظلام ولا عن السلم إذا لم توجد الحروب.

والبشر ينسون بسرعة ! ألم يتهجموا على جلالة الإله!؟ لقد كان «طائر الشمس» مجروحاً حقاً! ولم يشعر إلا بالنفور من الجنس البشري كله.

كان يشعر بأنه يشيخ باستمرار وهو يدرك أن ثورات جديدة سوف تحدث، لكنه لم يكن ليسر إذا فكر أن يقوم بمذبحة جديدة... فمن يعلم... إذ قد تغرق الإنسانية كلها في بحر من الدماء. ولجأ إلى الآلهة التي تواكب مسيرته، وقال:

- إنني مرهق جداً ولا أقوى على العيش مع رجال كان علي أن أبيدهم على آخرهم... فأنا وجدت لأعطي لا لأبيد... لكي أخلق، لا لكي أفني.

- لماذا يستولي عليك اليأس، وقد أحرزت نصراً مؤزراً، على كل حال يجب ألا تدع الضعف يبدو عليك! وفكر «رع» أن هؤلاء لا يفهمون! والتفت نحو «نون» وقال:

- لقد تلفت أعضائي وأريد أن أستريح... والاستراحة صعبة لإنسان يريد أن يعمل.

وأدرك «نون» أن لا شيء يمكن أن يثني الإله عن عزمه، فعلينا أن نستجيب لرغبته، ولكن، وبسبب الفساد الذي عم العالم، بدا أن تحقيق هذا الحلم لا يبدو أمراً سهلاً، وتنهد «نون» تنهيدة حرّى، تخرجه من حالة الإرباك التي وجد نفسه بها. وعليه أن ينتهي من عملية الخلق التي بدأها... فاستدعى «نوت» وقال لها:

- إن «رع» يتمنى أن يبقى بعيداً عن البشر: فرأيت أنك ابنة «سحو» إله الجو «وتفنوت» إلهة الرطوبة، أنتم أيضاً أبناء «رع» ستتحولين إلى بقرة هادئة ليصعد أبوك على ظهرك، وتحملينه إلى ما فوق الأرض.

وعندما جاء الرجال الذين نجو من المذبحة ليقدموا الشكر للإله «رع» لم يجدوه في قصر الأمير، فرفعوا رؤوسهم، ومدوا رقابهم فشاهدوا الإله هناك في الأعلى جاثماً على ظهر الحيوان الرحب، وعندما لاحظوا ملامح «رع» الحازمة أدركوا أن قراره لا يمكن الرجوع عنه، وعرفوا أنهم لا يريدون لإله الشمس أن ينكشف قبل أن يؤكدوا له أنهم نادمون وأنهم يأملون أن يمنحهم غفرانه.

- انتظر حتى الغد فقط فبعضنا قد عرف خطأه ويتوسل إليك أن تغفر له، وسنقاتل أولئك الذين تعرضوا لجلالتك... ومن يدافع عنهم فهو عدو لدود مثلهم.

وهز «رع» رأسه وتردد قليلاً قبل أن ينزل عن البقرة الهادئة وعاد إلى قصر الأمير... وترك الأرض تغوص في الظلام.

وعندما أضيئت أرض مصر بصباح جديد خرج الرجال من بيوتهم يحملون الرماح والأقواس والسهام مستعدين لقتال الأعداء. عندها تكلم «رع»:

- لقد عفوت عنكم، فالتضحية توقف التنفيذ. ومنذ ذلك الحين غدت كلمات «طائر الشمس» أساساً في فكرة الأضاحي الدموية: لذا... وفي الوقت الذي حان فراقه فيه إلى الأبد... تفاهم الناس مع الإله... فمنح الحياة للذين أهانوه وذبح بعضاً من الخصوم - ممن حولوا إلى عبيد - على قبور الأمراء والأغنياء، وقتل أمامه نخبة من الرؤساء الأعداء وكانوا أسرى حرب.

ومضى هذا الزمان، ومرت الأيام، وشعر «رع» بالنفور من هذا العمل أيضاً فهؤلاء الرجال هم أيضاً أبناؤه! ومن ثم فإن بعض خصومه قد احتمى في أجساد بعض الحيوانات! لذلك قرر استبدال الأضاحي البشرية بحيوانات مثل الثور والغزال والطيور لتنحر أمام المذابح. عندها، انتظمت الحياة من جديد وصعد «رع» على ظهر البقرة من جديد وشكلت بقوائمها ركيزة قوية ومددت بطنها وجعلت منه سقفاً لهذا العالم سماءً مظلمة أو مضيئة حسب ساعات اليوم.

وكان «رع» ينظم العالم الجديد يملؤه كل يوم بكائنات جديدة وقد علق على بطن «نوت» آلاف النجوم ليزين بها الليل... ونقلته البقرة إلى ارتفاعات بعيدة...

ولكن البقرة الهادئة أخذت تشعر بالدوار فخافت قليلاً وقالت:

- إن ساقي ترتجفان وأشعر بأنني سأهوي.

عندها تقدم بعض الآلهة وقاموا بتقوية قوائمها الأربعة بأيديهم القوية، وغدوا حراساً مهرة للركيزة الإلهية، واطمأنت «نوت» نوعاً ما لكنها طلبت دعماً من «رع». فتنهد وقال:

- إن ابنة ابني قلقة وعلي أن أطمئنها، قف يا «سحو» تحت «نوت» واجعل تحتها أكبر كتلة من الهواء الذي أنت منه لتحمل هذه الكتلة البطن الإلهي وتسنده، واطمأنت «نوت» وعادت تلك البقرة الهادئة.

نظر «رع» بعد ذلك إلى العالم وتأمله لحظة من خلال سماء شفافة، وكتم تثاؤباً ونظر مرة أخرى إلى ذلك المحيط الدائري الكبير، والحقول المحروثة والبوادي القاحلة، إلى الناس، إلى النيل... ثم راح يغط في نوم عميق.

أوزيريس
الكائن الطيب



اوزيرس وأخوه بيت

كان «رع» يزرع السماء جيئة وذهاباً طولاً وعرضاً وهو يرغي ويزيد من شدة غضبه.

- أهكذا؟ أنت يا «نوت» ابنتي الحبيبة ترتبطين بأخيك «جيب» دون إذني؟ وحتى لم تتوجهي لي بكلمة واحدة؟ كيف استطعت أن تتصرفي على هذا الشكل؟ حسناً... طالما الأمر هكذا فلن تستطيعي أن تنجبي ولداً لا خلال الأشهر ولا خلال السنوات، هل تفهمين؟ لن يكون لديك أطفال أبداً.

وعاد «رع» يستقل مركبته وغاب في جهة الغرب لاثنتي عشرة ساعة ليلية.

وشعرت «نوت» بتعاسة لا حد لها وأخذت تبكي وتنتحب.

عندها... تدخل الإله «تحوت» إله الزمن وصاحب التقويم وراح برأسه رأس «أبو منجل»: يداعب كتب «نوت» ليسري عنها، وقال لها بحنو كبير:

- لقد سمعت كل شيء يا «نوت» وسأحاول أن أصلح الأمور وأغير كل هذا فلا تبتئسي بهذا الشكل ولا تحملي هماً.

ورفع نحو السماء منقاراً طويلاً مقوساً واستدعى القمر، تلك «العين» الكبرى لحورس الكبير، ذلك الإله الصقر فقال له:

- يبدو أنك متضايق ومنزعج، هل أصابك الملل والضجر، تعال العب النرد معي؟!

- لنتراهن... سوف تدفع لي كل مرة أتغلب بها عليك اثنين وسبعين قبساً من قدرتك، أما أنا فإن خسرت...

وابتسم القمر... وقال: لم يستطع أحد أن يعملها حتى الآن... مسكين يا «تحوت» سوف يتعرى جسمك من الريش! لقد قبلت الشرط كي أفرحك يا «تحوت»

- اتفقنا... هيا نلعب! وبما أنني لا أهزم أبداً فلن أطلب شيئاً مقابل خساراتك وإلا فستجد نفسك في صباح الغد منتوف الريش.

ودار الزهر مرات عديدة فوق سجادة سوداء وربح «تحوت» الجولة الأولى. وقطب القمر حاجبيه، ثم ربح الجولة الثانية فغدا القمر غاضباً وعصبياً، عندها... تفتحت عين «حورس» الكبير اليسرى (هي القمر) وقال:

- توقف - كفى... لقد غلبتني خمس مرات متتالية وأنا مدين لك باثنين وسبعين قبساً من شخصيتي... فخذها. ورد «تحوت».

- شكراً لك.

عندها... كوَّن «تحوت» خمسة أيام أخرى أضافها للتقويم بسبب رمحه الكبير هذا ووضعها إلى جانب تلك السلسلة: السنة التي هي اثني عشر شهراً في كل منها ثلاثون يوماً كانت تشكل السنة المصرية في ذلك الحين.

وضرب «تحوت» عصفورين بحجر واحد. فأعاد تنظيم الزمان بشكل أفضل ورفع لعنة «رع» عن «نوت» وأتاح لها أن تنجو وأن تنجب خمس مرات متتالية.

وولد «أوزيريس» وجاء إلى العالم أسمر الجبهة، ناعم التكوين في أول يوم من الأيام الخمسة الإضافية. ويوم ولادته، سُمع من بعيد صوت غريب يقول: «إنه سيد الكون ذلك الذي رأى النور اليوم».

وفي «طيبة» تلك المدينة ذات المئة باب، كان «باميليس» يغدو لنقل الماء لمعبد آمون، فتناهى إلى أذنيه صوت لا فم له ولا جسد يأمره بأن يصيح بكل قوته:

إن الملك الطيب «أوزيريس» قد ولد اليوم».

وأطاع الرجل! وأعلن الحدث السعيد بصوت مرتفع - إن «جيب» إله الأرض أنجب ابناً.

وكلفه أن يقيم على شرف مقدمه احتفالاً كبيراً وأن يولم وليمة كبيرة يذبح فيها خنزيراً أمام بيته وتنشد النساء أناشيد التبريك، ومن ثم يطوفون على القرى يتقدمهم عازفو المزامير.

وفي اليوم الثاني من الأيام الإضافية ولدت «نوت» «هيرواوريس» ولد إلهي له رأس صقر، وفي اليوم الثالث أطلقت «نوت» صيحة ألم حادة، إذ إن مولودها الثالث «سيت» رفض أن يخرج من الطريق الطبيعي للحياة فانطلق من خاصرة أمه بعد أن شقها بقسوة.

وهكذا كانت «نوت» تنتظر الغد بخوف وحذر... أما «إيزيس» فقد ولدت بلطف وهدوء من درب الحياة الطبيعي بين الواحات، حيث لجأت أمها.

وأخيراً... وفي اليوم الأخير من الأيام الإضافية ولدت «نفتيس» وانضمت إلى أخوتها، فغدا لـ«نوت» و«جيب» خمسة أطفال - وهدأ غضب الإله «رع» وهو يرى فروعه الخمسة، فأخذ يتأملهم بحنو كبير وترقرقت الدموع في عينيه وسالت على وجه «عصفور الشمس» وعندما نزلوا إلى الأرض تحولوا جميعاً إلى نحل.

ونزل إلى الأرض وتحول مباشرة إلى نحلة: تلك الحشرة المحسنة الطيبة التي تصنع الشمع والعسل لإرضاء الإنسان...

ومرت الأيام... وكبر الأولاد. فاعتزل «هاروواوريس» الناس ونفى نفسه إلى بلاد النوبة وتزوج «سيت» أخته «نفتيس»، أما «أوزيريس» و«إيزيس» فكان زواجهما حدثاً نقياً، إذ نشأ حب بينهما منذ زمن طويل عندما كانا لا يزالان في بطن أمهما.

كان «أوزيريس» أسمر الجبهة لطيف التكوين، طوله سبعة أكواع له هيئة مهيبة وجليلة عندما صعد إلى العرش، وتغيرت الأحوال على أرض مصر بوجود هذا الملك الطيب. كان ذكياً بشكل غريب وتساعده زوجته «إيزيس» في مهمته الصعبة، إذ كان الناس قبله يعيشون كحيوانات الغابة يقدس بعضهم بعضاً، فجعلهم «أوزيريس» بحكمته وثباته يتخلون عن هذه العادة السيئة.

أما «إيزيس» فكانت تعلم الناس كيف يستعملون الشعير والخمائر لصنع الجعة، إذ لم يكونوا يعرفون تلك النباتات ولم يفكروا في زرعها، فشجعهم مليكهم على استصلاح الأراضي وزراعة القمح والشعير وراح الناس يشربون من هذا المشروب الطيب الطعم والعطر الرائحة. وأحب الشعب هذا المليك المصري، فلقد سن لهم قوانين حكيمة وعلمهم احترام الآلهة، وتم في زمنه اكتشاف كروم الخصب في أراضي «نيسا» فعصروا عقاقيرها وشربوا خمرها بكثير من المتعة بعد أن علمهم طريقة صنعها. وخطب في شعبه ذات يوم قائلاً لهم:

«أيها المصريون! هل تعرفون أن أرضكم تحتوي على المعادن والذهب البرونز؟ إن ملككم يهديكم إلى عروق المعادن في الأرض وإلى طريقة استخراج الفلزات، وكيف تصنعون الأسلحة تدافعون بها عن أنفسكم من الحيوانات المفترسة، وعلمكم كيف تصبون في القوالب تماثيل الآلهة... لقد غمركم هذا الملك بفضله، أما ملكتكم «إيزيس» فكم هي إنسانية وطيبة، شرعت لكم قوانين عادلة، وأبعدت عنكم الشياطين بقوة سحرها لكنها شرسة جداً بالنسبة للناس المؤذين الضارين.

هي حنونة جداً على أولادكم تسهر عليهم وتحميهم، تعلمكم كيف تعيشون كأسرة متحابة، تطحنون القمح وتشوون الخبز، تنسجون القماش وتغسلونه ليبدو أبيض ناصعاً؟ ويسجد أوزيريس وزوجته في الحكم الإله «تحوتمس» الذي واسى «نوت» عندما غضب عليها والدها... وهو الإله ذو رأس أبو منجل، فهو إله الزمان يحصي

الساعات والأيام هي لعبته المسلية، يحول ما تنطقون به إلى رموز، وأبدع القراءة والكتابة غذاءً للروح، يسجل فوق لفائف من ورق البردي الأفكار التي تريدونها أن تصل إليه كما يسجل تلك الحكايا والأساطير التي تريدون نقلها إلى أحفادكم، أو إذا لم تعودوا قادرين على النطق.

والكتبة، كل الكتبة يحترمون هذا الإله الذكي وقوانينه التي يشرعها لمعرفتهم، والعلماء والكهنة يحبونه ويحترمونه حتى عندما يخرج من ريشه ويأخذ شكل القرد.

ويتجول «أوزيريس» في كل الأرض كجيش عرمرم موجهاً ومعلماً في كل المناطق التي يزورها، يهديهم إلى أساليب الزراعة، كاشفاً لهم تلك المتعة التي يسببها لهم تعاطي الخمر بشكل معتدل، كأنه بعثة إلهية هادئة، ويرافقه في جولته الموسيقيون والراقصون ويستقبل حيثما يحل استقبال الفاتحين.

ولهذا الملك رجال أصحاب رأي يستشيرهم في قيادات دولته، ومن حلفائه الكلب المتوحش «أنوبيس»، ذو الرأس الأسود والأذنين المدببتين وكذلك «الكلب الذئب» أوبوأوت وفي غياب «أوزيريس» في رحلاته المتكررة كانت «إيزيس» هي التي تحكم مصر بالعدل كزوجها تماماً، تراقب كل الأمور وتبقي على النظام والأمن المستتب الذي رسمه لها «أوزيريس».

واستمر الحال جيداً حتى اليوم الثالث من شهر «بيريت» شهر تصبح فيه عين «سحمت» رهيبة، فترسل الأوبئة، فأحياناً تكون الشمس تسطع في سماء زرقاء صافية فيتغير الجو فجأة وتهب رياح الصحراء الحمراء فتعري الأشجار من أوراقها، ويغرق النيل في الأرض، تتطاول الليالي وتغدو الأرض عارية، وتضعف قوة النور وتبدو الأرض وكأنها تخربت.

أما «سيت» فهو الذي ولد في اليوم الثالث من الأيام الإضافية الخمسة، بشرة بيضاء، شعر أشقر، وقد بقي في ظل «أوزيريس» وهو يشعر بالغيرة والحسد منه لذلك

الحب الكبير والاحترام الذي يكنه له الشعب، ويحسده على أخلاقه الكريمة ومبادئه القويمة.

ولقد ولد «سيت» وولد معه الشر منذ أن ولد تلك الولادة الغريبة التي سبب فيها لأمه «نوت» ذلك الجرح في خاصرتها، وغضب «سيت» عندما أطلق المصريون على «أوزيريس» اسم «الملك الطيب»، ذلك الملك المخلص الذي يحبه الناس ويباركونه.

وازداد حنقه وحسده عندما عاد «أوزيريس» على رأس جيشه الكبير مكللاً بالنصر المؤزر الذي أحرزه في بلاد الأجانب.

لكن «سيت» استقبل أخاه بالأحضان، وبذراعين مفتوحتين قائلاً له:

- كم أنا سعيد بعودتك يا أخي - وعلينا أن نحتفل بهذه المناسبة وهذا الانتصار، وقد عزمت أن أقيم مأدبة كبرى تليق بمقامكم وشخصكم الملكي، فأرجو أن تحضر مساء إلى قصري. وبينما كان «سيت» يعانق أخاه قاس تماماً حجم جسمه وطوله خلسة، وبعد أن أخذ هذا القياس قام بصنع صندوق من الخشب الثمين، صنع بترف كبير ومرصع بشكل رائع. صنعه على وجه السرعة وبسرية تامة.

وراح «أوزيريس» إلى زوجته «إيزيس» وقد فرح بلقائها من جديد وأخذ يحدثها باختصار عن رحلته وانتصاراته وفتوحاته، وسألها مطمئناً عن أحوال مصر في غيبته.

وها هو الآن ينتقل باتجاه قصر أخيه «سيت» فأجتاز عتبة القصر واتجه إلى قاعة الاستقبال ولدهشته وجد عند أخيه اثنين وسبعين رجلاً وامرأة واحدة في استقباله. وقد عرف عددهم من أول نظرة من عينه اللماحة وقال «سيت» محيياً:

- أقدم لك حرسي الخاص... وهذه ملكة أثيوبيا...

كان الجميع حول المائدة يتناولون الطعام، وأثناء تناولهم الطعام صفق «سيت» بيديه فجاء الخدم يحملون صندوقاً من الخشب الثمين المشغول بدقة وترف وأكد الحاضرون على جمال الصندوق وروعته وأنه من صنع إلهي، وقال «سيت»:

- من يلائم هذا الصندوق حجماً يستطيع أن يأخذه ويملأه تماماً إذا تمدد فيه.

وجرب المدعوون التمدد في الصندوق جميعاً، ولكنه لم يلائم أحداً منهم وأخيراً جاء دور «أوزيريس» فتمدد فيه مجرباً...

عندها اندفع المدعوون الاثنان والسبعون وأغلقوا الصندوق على من فيه وثبتوه بالمسامير بضربات مطارق قوية ثم ختموه بالرصاص الذائب.

وعندما انتهت العملية حمل هؤلاء الشركاء الصندوق وألقوه في النيل.

وقع هذا الحدث في السابع عشر من شهر «آثير» عندما تمر الشمس في برج العقرب.

وحكم «أوزيريس» مصر ثمانية عشر عاماً. ولم تشك «هابي» لحظة واحدة في أنها تحمل في طياتها جثمان الملك نحو البحر.

وانتشر خبر اختفاء «أوزيريس» الملك الطيب في كل أنحاء مصر واستولت الرهبة على نفوس الرجال وخشيت الآلهة على أصدقاء «أوزيريس» من أن يلاقوا المصير المحزن نفسه، فاختفوا جميعاً في أجساد الحيوانات.

أما «إيزيس» فقد أخذت تنتحب ومزقت ثيابها ولطخت وجهها بالطين وأشهدت السماء على ألمها، لكنها وبعد قليل... هدأت، فارتدت ثياب الحداد وقصت إحدى جدائل شعرها... كانت تفكر: منذ بضع ساعات كان حبيبها بقربها بعد عودته من غيبته الطويلة، يقف أمامها مبتسماً تحيط بوجهه هالة النصر... منذ بضع ساعات فقط كانت امرأة سعيدة جداً تستقبل زوجها العائد. والآن ها هو الحزن والأسى يملأ قلبها ويعتصره الألم وتضيق حنجرتها... فراحت تجوب الجهات الأربع من جهة لأخرى كمن فقدت عقلها وقد تخربت نفسها من هول الصدمة.

فراحت تسأل الناس، فلاحين ومهاجرين، ومسافرين علها تعثر على إشارة أو دليل على وجود زوجها أو مكانه... ولكن لم تجد شيئاً، ويبدو أن «أوزيريس» قد تلاشى جسداً وروحاً أو أنه لم يكن موجوداً أصلاً.

ومرت الأيام... وذات يوم شاهدت «إيزيس» أولاداً يلهون قرب النهر، فابتسمت لهم على الرغم من ألمها، كانوا يتسابقون بالركض على ركبهم وسوقهم متصالبة يمسكون أقدامهم بأيديهم، فجرت مسرعة ولحقت بهم وسألت:

- هل رأى أحدكم رجالاً يحملون صندوقاً خشبياً كبيراً؟! ونهض طفل منهم وأجابها:

- نعم، لقد رأيت ذات يوم رجالاً يحملون صندوقاً كبيراً... يئنون تحت ثقله.

- كيف استطعت أن تميز ذلك والوقت ليلاً؟

- كان القمر بدراً والصندوق مزين بشكل رائع يتألق تحت ضوء القمر، وألقوه هناك عند ذراع النهر الذي يتجه نحو البحر، كنت ألعب خارج البيت ورأيت كل هذا.

وداعبت «إيزيس» شعر الصبي الأسود المجعد وقالت له:

- شكراً يا صغيري. لعنك الله يا ذراع النيل - وقدس الله صوت الأطفال.

إن الثور «آبيس» ثور مقدس - ومن يصلي ويسأله عن المستقبل يجد الجواب على لسان الأطفال...

وتركت «إيزيس» الأطفال للعبهم وسارت وقد رسمت لنفسها خطة معينة.

وخلال تسيارها صادفت نبات «الهندفون» ذلك النبات ذو الأزهار الصفراء، وراحت تتبع بخطاها رائحة ذلك النبات الذي كان «أوزيريس» يحبه.

وطال سيرها، وأنهكها المسير إلى جانب البحر الأيسر بينما تمتد الجبال العالية إلى يمينها وفي يوم من الأيام سمعت «إيزيس» صوتاً إلهياً يهمس في أذنها صوت لا جسد له ولا شفاه وتكلم الصوت:

- إنك تسيرين على الدرب الصحيحة تابعي سيرك حتى «بيبلوس» دون أن تضيعي برهة من الزمن - هناك ستجدين ما تبحثين عنه...

وبعد أن حملت الأمواج الصندوق الثمين الذي يحوي جثمان «أوزيريس» وضعته برفق في أصل شجرة، ومنذ ذلك الحين نمت الشجرة بشكل غير مألوف حول الصندوق حتى ضمته إليها واحتضنته داخل جذعها.

وعندما علم ملك هذه البلدة بقصة هذه الشجرة أمر بقطع جذعها وصنع منه مسلة زين بها قصره... ووصلت «إيزيس» إلى «بيبلوس» منهكة تبكي فارتمت قرب أحد الينابيع وأخذت تفكر بطريقة يمكن أن توصلها إلى الملك وتتحدث إليه.

وبينما هي في التفكير وردت على النبع خادمات للملكة فاتجهت «إيزيس» إليهن فحيتهن وعرضت عليهن أن تجدل لهن شعرهن، وقامت بذلك بسرعة وطلت أجسادهن برائحة إلهية كانت تنبعث من جسدها، رائحة تتركب من ست عشرة مادة من بينها العسل والخمر والنعناع والقرفة والحناء والميموزا.

وعندما شاهدت الملكة خادماتها وهن مرتبات بهذا الشكل سألتهن عن سر ذلك فحكين لها عن المرأة الغريبة التي رأينها عند النبع.

فاستدعت الملكة إيزيس وأعجبت بها كثيراً وغدت صديقة لها، حتى أنها أوكلت لها تربية طفل لها ولد حديثاً، واهتمت «إيزيس» بالطفل تلهيه عن الرضاعة بوضع إصبعها في فمه ومن ثم أخذت تحرق من جسمه كل شيء قابل للفناء.

وفي الليل كانت «إيزيس» تتحول إلى سنونو تطير نحو القصر الملكي فتدور وتدور حول الجذع أو العمود الرائع الذي يرقد فيه «أوزيريس».

وفي إحدى الليالي أصاب الملكة أرق شديد فانطلقت نحو غرفة الطفل... ويا لهول ما رأت! رأت ألسنة اللهب تخرج من جسم الطفل و«إيزيس» تذكي النار وتنفخ عليها لإنعاشها. وصرخت الأم عالياً... وكان عليها أن لا تفعل ذلك، إذ أوقفت بصراخها ما كانت «إيزيس» تقوم به من عمل مفيد. وقالت:

- ويل لك، أيتها التعسة ماذا تفعلين بالطفل وأنا التي وضعت ثقتي الكاملة بك،

وردت «إيزيس»:

- لم أزد له إلا الخير فأنا أحرق فيه كل شيء قابل للفناء... لكنك تدخلت ولم يصل ابنك للخلود.

وأعلنت لها «إيزيس» أنها إلهة... فسجدت الملكة لها وسألتها:

- ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك - أنا في خدمتك فأمري ماذا تريدين.

وقالت لها «إيزيس»:

- لا أريد سوى عمود الزينة في القصر الملكي.

وكانت فرحة كبرى للملك بأن يلبي طلب الإلهة...

عندها... انتزعت جذع شجرة - الأثل وشقته وانتزعت من وسطه الصندوق الثمين... وسترت الجذع بقطعة قماش طرية وأعادته إلى الملك والملكة... لكي يقدس أهل «بيبلوس» تلك القطعة من الخشب المقدسة التي حوت جسد «أوزيريس».

وحدقت «إيزيس» طويلاً في الصندوق حتى تأكدت من أنه التابوت الذي يحوي جثمان حبيبها وزوجها «أوزيريس» ثم ارتمت فوقه باكية وأخذت تنتحب.

وجهز الملك «مالكاندر» سفينة متينة لتعبر بها «فيدروس» وأمر ابنه أن يرافق الإلهة ويكون في خدمتها. وما أن رفع التابوت على ظهر المركب حتى هبت ريح قوية أوصلت السفينة إلى عرض البحر. عندها اضطربت «إيزيس» وجففت سرير النهر الذي أوشك أن يغرق الأرض الخضراء، وكانت التيارات ملائمة فساقت المركب بعد قليل إلى الشاطئ المصري.

وعانت «إيزيس» من رحلة شاقة، يتبعها ابن ملك «بيبلوس»، حتى وصلت إلى مكان صحراوي خال ومنعزل. وبعد أن فكت أختام الصندوق وفتحته:

كان «أوزيريس» ممدداً فيه رائعاً... بوجه ناعم لطيف وبشرة سمراء وأجفان مغلقة وبدون أنفاس، فانحنت «إيزيس» عليه وأطبقت شفتيها على فم الكائن الطيب

متحدة معه بهذه القبلة... واستمرت فترة طويلة تتأمل وجه حبيبها وتبكي. وعندما رفعت رأسها رأت ابن ملك «بيبلوس» قريباً منها وقد جرؤ على النظر إليها.

وأحست «إيزيس» بغضب شديد فجعلت من نفسها حدأة قاسية ألقت على الأمير نظرة هائلة جعلته يترنح ويرتمي على الأرض بلا حراك.

وعلى الرغم من متاعبها الكثيرة حزنت «إيزيس» على مصير ابن ملك «بيبلوس» وتابعت طريقها تحمل صندوقاً ثقيلاً من الخشب الثمين المصنع بشكل رائع يرتاح فيه الملك الطيب «أوزيريس»، وأخذت «إيزيس» تمشي وتمشي وتمشي.

ثم خبأت الصندوق في مكان منعزل.

وألقت نظرة أخيرة على الصندوق المصنع بشكل رائع كما قال الصبي الأسمر ذو الشعر الأجعد.

وتابعت طريقها دون أن تلتفت إلى الوراء... وسارت باتجاه «بوتو».

القتال

بين

«سيث» و«حورس»



لا يوجد في الأرض مكان لا يمكن الوصول إليه! ولابد في يوم من الأيام من أن تصل إلى الأماكن الأكثر سرِّيَّة في العالم.

ففي مساء أحد الأيام كان «سيت» يطارد غزالاً في الصحراء يحاول اصطياده، ففقد أثر الحيوان وفقد طريقه. فأخذ يلعن حظه السيئ الذي جعله يتوه عن طريقه عند الغسق.

وفجأة وعلى ضوء قمر كان بدراً عثر «سيت» على صندوق من الخشب الثمين مصنع بشكل رائع فكشف غطاءه وشاهد فيه ذلك الوجه الأسمر الباسم وجه أخيه «أوزيريس».

عندها، غضب غضباً شديداً وعاد إليه حقده القديم فأخذ يقطع جثمان أخيه إلى قطع ألقاها هنا وهناك وكان عددها أربع عشرة قطعة...

وصوت لا فم له ولا وجه أبلغ «إيزيس» بالعمل المخجل الذي قام به «سيت». وعندما سمعت «إيزيس» ذلك كادت أن تنهار - ولكن الصوت المجهول عاد وطمأنها، فهدأت وقررت أن تتصرف.

فاتجهت مباشرة نحو السبخات ودارت فيها على زورق من ورق البردي، ولم تدن التماسيح منها في هذه الأمكنة إما لرهبتها منها وإما احتراماً لها، وراحت تبحث عن أجزاء زوجها، وكلما عثرت على قطعة من جسد «أوزيريس» تنقلها إلى المركب، وبنت له في هذا المكان قبراً. ولكي تنجو من أعمال «سيت» الشريرة شكلت «إيزيس» صوراً من جسم «أوزيريس» على عدد القطع الأربع عشرة التي وجدتها. واستدعت بالتتالي كبار الكهنة وقالت لكل واحد منهم إنها فضلته على الآخرين، وأنها تعهد إليه برعاية قبر «أوزيريس» وهكذا لن يستطيع «سيت» الوصول إلى القبر لتداخل وتنوع من سيحكون له أو يعرض عليه ما لديه. وعندما عثرت «إيزيس» على كل قطع جسد «أوزيريس» نادت أختها «نفتيس» وأصدقاءها «تحوت» و«أنوبيس» فتناقشوا وذكروا بصوت مرتفع تعاليم الكائن الطيب، وسمعوا من الصدى نفسه كلمة السر الذي ينتقل فيها إلى حياة جديدة، عندها وبلمحة بصر خلقت «إيزيس» دواء جديداً يمنحه الخلود.

وتحت أنظار الآلهة المتحمسة جمعت إيزيس وحلفاؤها بقايا «أوزيريس»، فحافظوا على عضلات الملك التي يمكن أن تتلف بأسلوب علمي، وبذلك حققوا بواسطة التحنيط هذا أول مومياء في العالم. وأطلقت «إيزيس» ضفائرها وارتدت ثوب الحداد وأخذت تتوسل إلى الكائن الطيب بأن يعود ليسكن في جسده وقد أعادت بنيانه من جديد ثم أخذت تنشد.

عُد إلى بيتك - فأعداؤك ليسوا هنا - عد إلى زوجتك التي تحبك... أيها القلب الذي لا ينبض وهزت «نفتيس» رأسها وأنشدت بدورها:

- عد إلى بيتك أيها الأمير الجميل - عد لنفرح ونسر بلقياك.

وأجريت لأوزيريس مراسم فتح الفم فقد أعادوا له فتح فمه من جديد ليعتاد على الأكل والشرب وإعطاء الأوامر والترنم بكلمات الحب، كما أعيدت له طاقته الحيوية بعد العديد من الممارسات، ولصقت أجزاء وجهه، كما أعيدت له حركة يديه

ليعرف كيف يتصرف وعينيه ليرى وساقيه ليمشي. وقاموا بالتضحية بثور عندما انتهوا من ذلك. وهكذا بعث «أوزيريس» من جديد وصعد إلى السماء ليعيش هناك حياة أبدية، إلهاً طيباً للأموات، وقد فتح بذلك للبشر باباً لوجود أبدي لا نهاية له، وسوف يعود للحياة من جديد كما تنمو حبة القمح التي انطمرت أيام الزرع لتعود للظهور في الربيع - سيولد من جديد كما يولد نهر النيل من ذلك الطمي الذي يحدث كل عام بعد أن مات بشكل ظاهري.

وإثر صعود «أوزيريس» إلى السماء بقليل وضعت «إيزيس» طفلاً في «شمنيس» قرب واحات بحيرة «بورلوس» القريبة من «بوتو».

وكما تقوي المياه الجديدة نهر النيل، وينبت القمح في الربيع ولد هذا الطفل بين شجيرات القصب، كان «حورس» ابن إيزيس ولحمه من لحم «أوزيريس».

ونشأ الطفل في عزلة تامة، كانت أمه تسهر عليه وتخاف عليه وتراقبه ليل نهار بمنتهى الحرص، إذ كانت تخشى أن يعثر عليه «سيت» فقد قام سابقاً بإغراق أبيه «أوزيريس» وقطّع جثته ونثرها في أماكن متفرقة.

والإنسان لا ينسى: لقد كان المصريون بكماً عندما كانت «إيزيس» تسألهم عن «أوزيريس» طفل واحد فقط... أسمر الوجه أجعد الشعر هو الذي حكى لها ما رآه... وفي «بيبلوس» هبت عاصفة عاتية على زورقها بأمر من «سيت».

آه لو يعلم «سيت» أن هناك طفلاً ابن «لإيزيس» و«أوزيريس»، قد ولد وأنه يعيش في «شمنيس».

لقد كانت «إيزيس» تسهر على الطفل وترعاه متيقظة متنبهة لأي صوت، شديدة القلق على طفلها فإن «سيت» هو جفاف الصحراء المحرقة، وفي البحر هو الأمواج المتلاطمة الغادرة هو الأملاح والأسماك فيها... لقد كان «سيت» الشر بعينه.

كان «حورس» يلعب ويبتسم، ويخلق لنفسه أعداءً يحاربهم، وأحياناً يختبئ في عالم غابات البردي العجيبة، وكان على «إيزيس» أن تطعمه فكانت تتخفى لكي تطلب له أشياء يأكلها كأي سائلة فقيرة تخفي وجهها تحت طرف ردائها الغريب.

ماكر جداً من يستطيع أن يكون في كل الأمكنة في كل الوقت، وساذج جداً من يدعي أنه يستطيع أن ينجو من كل الأخطار ولا ينسى واحداً منها. إذ بينما كانت «إيزيس» تبدو سائلة تطلب الصدقة فإذا بها تشعر بإحساس غريب يقول لها عودي إلى ابنك، فأخذت تعدو مسرعة، بينما كان صوت بلا فم أو وجه يقول لها أن تعدو بسرعة أكبر حتى بلغت «شمنيس».

منذ برهة قصيرة كان «حورس» يزحف ويضحك... وها هو الآن ممدداً بلا حراك شاحب الوجه - انحنت «إيزيس» فوقه! كان قلبه يدق بضعف أو هل يدق قلبه فعلاً؟ أم أنه...

وصاحت تطلب النجدة، صيحة بائسة بلغت أسماع العالم كي يحضر إليها الناس.

وسمعت صراخها ساحرة في أقرب قرية إليها، فأسرعت نحوها لترى الطفل بلا حراك ونظرت إلى «إيزيس» وأرخت نحو «إيزيس» نظرة من عيني عجوز متجعدة.

- ماذا عندك أيتها الساحرة من أجل طفل بريء قرصه عقرب؟

- إن كان «سيت» هو الذي أرسل العقرب، فأنا لا أستطيع معه شيئاً! لا أحد يستطيع أن يتغلب على حلفائه، وعلى الرغم من كل طاقتي فأنا لا أستطيع أن أتغلب على هذا السم!

وتذكرت «إيزيس» سحرها وقوتها! ألم تجفف قاع النهر؟ لكنها مع ألمها لم تذكر ذلك، بل استمرت بالصراخ حتى بلغ صراخها السماء، وجاءت إليها أختها «نفتيس» ومعها «سيلكت» إلهة العقارب.

وفحصت «سيلكت» الطفل وقالت:

- إن المرحلة التي وصل إليها السم في جسم الطفل لا تستطيع معها عمل أي شيء، وإنها سترتدي ثوب الحداد مرة أخرى.

عندها تكلمت أختها «نفتيس» وهي تقاسم أختها الألم وقالت لها:

- أوقفي مركب الزمن إن استطعت، فهذه آخر فرصة لك.

ونظرت «إيزيس» إلى «حورس» وعاد إليها هدوؤها، وراحت تبحث في أعماقها وتتذكر: ثم رفعت رأسها وحدجت السماء بنظرة ثاقبة ومنعت مركب الزمن من الحركة، وتوقف الزمن: وزمجر «رع» ماذا يحدث؟ لماذا لا يتقدم هذا المركب؟ هيا اذهب يا «تحوت» وابحث عن السبب وأخبرني:

وجاء إله التقويم وقد أقلقه هذا الشلل الذي أصاب الزمن فحضر إلى «شمنيس» فوجد الحزن يسود هناك... وأدرك في الحال ما حدث وقال:

- أيها الإله «رع» امنحني القوة! فالطفل «حورس» ابن ابنك «جيب» لدغه عقرب وسرى السم في جميع أنحاء جسمه وراح يجول في عضلاته.

وانتظر «تحوت» لحظة ثم نظر إلى «حورس» بارتياح. وتذكر كيف أنه أرسل سبعة عقارب لمرافقة «إيزيس» ليقوموا بحمايتها من «سيت» وعندما لدغ «تيفين» رئيسهم ابن امرأة أغلقت بابها في وجه الإلهة، وسحر العقارب بيتها فاحترق...

وتدخلت «إيزيس» وأنقذت الطفل ثم استمطرت من السماء ماء وأطفأت به الحريق...

كان «تحوت» يعرف كل هذا... وأدرك أيضاً أن سحر «إيزيس» قد تخلى عنها مفسحاً المجال في نفسها لليأس والأسى. وقال «تحوت» وإيزيس تقدم له الطفل:

- هيا أيها السم، هيا اذهب وانتشر فوق الأرض وغادر هذا الجسد البريء، واغرق إلى الأبد في مياه البرك. واستجاب السم لطلب «تحوت» فتجمع ثم خرج من الجرح وابتعد باتجاه مياه المستنقعات.

- هيا انهض الآن يا «حورس» بحياة حب أمك، انهض ليعاود الزمن مسيرته، وانهض لتثأر لأبيك.

وفتح «حورس» عينيه، وابتسم وعادت الغبطة والفرح إلى قلب «إيزيس».

وبعد أن انتهت مهمته عاد ليصعد في مركب «ملايين السنين» إلى السماء.

وكبر «حورس» بين أوراق البردي وأغصان القصب فقوي جسمه وتفتحت نفسه...

وفي يوم... ترك «أوزيريس» مملكته القصية وعاد إلى الأرض ليوم واحد. ليسلح ابنه ويدربه على القتال، وفي المساء سأل الأب ابنه الشاب:

- ما هو أفضل عمل يمكن أن يقوم به الإنسان؟ وأجاب الشاب:

- أحسن عمل يقوم به المرء هو أن يثأر لأبيه، إذا أسيئت معاملته!

- حسناً... وما هو أفضل حيوان يمكن أن يكون ذا فائدة للمحارب؟

- إنه الحصان من دون شك!

- حسناً... لكن لماذا؟ أليس الأسد ملك الحيوانات جميعاً، يحرق كأنه عين الشمس! ألا يستطيع أن يبتلع كل شركاء «سيت» ثم ببصقهم؟ أليسوا أعداء الآلهة؟

- إن الأسد مفيد من أجل الدفاع، لكن الحصان لا يستغنى عنه لتفريق جموع الأعداء والقضاء عليهم عندما ينهزمون!

وهز «أوزيريس» رأسه وابتسم لابنه وقد اطمأن على طريقته في المعركة والقتال ثم عاد إلى مملكته البعيدة.

وجاء وقت الحرب وخرج «حورس» من البرك، ليستقبل النهار، وبقي المصريون مخلصين «لأوزيريس» فالتفوا حول «حورس» ليساعدوه.

واتجهوا بإصرار نحو شركاء «سيت» وأصيب هؤلاء برعب كبير فتحولوا إلى أيائل وتماسيح وأفاعٍ، هذه الحيوانات الشريرة، وانتصب كل من «حورس» و«سيت» أمام بعضهما وبدأا يتقاتلان ثلاثة أيام مع ثلاث ليالٍ بقوة، فهذا قاتل شرير ومغتصب وذاك شهم يريد أن يثأر لأبيه، وأن يجلس على عرش مصر.

وفي صباح اليوم الرابع وخشية من أي نتيجة سيئة للمبارزة ألقت على المتحاربين سلاسل لإيقاف النزال. فصاح بها ابنها:

- أنا ابنك «حورس» لقد قيدت حركتي... فاضطربت «إيزيس» وأمرت السلاسل أن تفك حلقاتها عنه وصاح بها «سيت» قائلاً:

- ألا تعرفين أخاك يا إيزيس! إنني ابن أبويك «نوت» و«جيب» وطلبت «إيزيس»، من السلسلة أن تتفكك فأطاعت. ووجد المتحاربان نفسيهما وجهاً لوجه مرة أخرى مطلقي السراح كرجلين لا يستطيعان أن يتقاهما.

واضطرب «حورس» وتوجه بالكلام إلى أمه «إيزيس».

لقد حللت القيد عن فريستي وأطلقت سراحها! ألم يقتل «سيت» أبي ويسيء إلى جثمانه؟ وصفع الصبي الغاضب أمه ونزع عنها شعار الملك.

وصدمت الأم بهذا العمل بينما كانت تحصي الضربات التي كان كل واحد يكيلها للآخر.

وتقاتل الخصمان أياماً وأياماً ثم شهوراً وسنين دون أن يتقدم أحدهما على الآخر فلمرات عديدة ظن «سيت» أنه انتصر على خصمه الإله ذي رأس «أبو منجل» لكن «حورس» كان يعود إلى القتال بقوة جديدة، كما ظن «حورس» لمرات ومرات أنه قد انتصر على «سيت» ذي جسم ابن آوى. كان يعود للقتال بقوة... وفي يوم أنهك الخصمان... فقررا باتفاق عام أن يتقدما إلى محكمة الآلهة الكبيرة الأنبياد.

وعقدت الجلسة التي ستحكم أياً من الأميرين سيرث عرش «أوزيريس»، وعقدت لهذا الغرض أربعة عشر ألفاً وستمائة مرة عرض فيها «حورس» الوصية وبرهن على حقوقه في ذلك وكذلك عقدت أربعة عشر ألفاً وستمائة مرة عارض فيها «سيت» حجج خصمه ولم ينته الحكام إلى قرار بهذا الشأن بعد أن استمعوا إلى الشاكين.

ولكي يتمكنوا من أن يحكموا بالعدل قرروا أن يستمعوا إليهما من جديد، وقدم «حورس» تسعمائة وستين حجة مكتوبة على ورق البردي وكان يعددها شهراً بعد شهر.

وبعد تسعة وعشرين ألفاً ومئتين من الأيام تحدث «سحو» أمام «بري - هاراكتي» الإله العام العالمي وقال:

إن العدل يفوق القوة وأعطوا المكان لـ«حورس» وصاح «تحوت»

- هذا منتهى العدل!

وفرحت «إيزيس» بهذا الكلام! وتقدم من رئيس المحكمة العالمي وطلبت منه أن يسخر ريح الشمال لتهب نحو الغرب تنقل الخبر السعيد إلى «أونينفير».

وقطّب السيد العالمي - حاجبيه - لقد كان مضطرباً - وقال:

- ماذا يعني أن تتخذي لوحدك قراراً كهذا؟ إن على المحكمة أن تبت وتحسم هذا الموضوع. وقال «سيت»:

- دعونا نخرج إلى الخارج، أنا وهو لأبرهن لكم من منا الأصلب عوداً والأمتن ذراعاً. واستطرد «تحوت»:

- لكن هذا يزرع بيننا الفرقة من جديد، تلك الفرقة التي جعلتكما متخاصمين هنا حالياً، فهل يمكن أن نعطي تاج مصر إلى «سيت» بينما ابن «أوزيريس» هنا حيّ يرزق؟

عندها - سمع صوت الإلهة «نيت» الوالدة المقدسة لـ «رع».

- إنني أشارك «تحوت» في رأيه: أنتم تتقاضون هنا منذ ثمانين سنة حول مصير هذين الرجلين دون أن تعرفوا كيف تحكمون.

قدموا مزيداً من العطاءات والخيرات إلى «سيت» وقدموا إلى «حورس» حقوقه وصاح الآلهة:

- إنها على حق مليون مرة...

عندها غضب «السيد العالمي» وكان إلى جانب «سيت» على «حورس»، وقال له:

- أنت ضعيف البنية، وهذه المهمة الملكية هي أكبر من أن تكون لولد مثلك لا يزال حليب الرضاع على «فمه» وصاح «سيت»:

- هذا صحيح فأنا أقوى منه: أقف كل يوم على مقدمة مركب «ملايين السنين» وأقتل كل الأعداء - فمن يقوم بمثل ما أقوم به... إنني من يستحق عرش مصر.

وكانت «إيزيس» تواجه المحكمة بحزم وتهدد بالصواعق إذا حرموا ابنها من عرش مصر لكن الآلهة تسامحت معها ووعدتها أن تتصرف كما تشتهي.

وغضب «سيت» ووقف يقول بصوت عالٍ مهدداً أولئك الأرباب الذين يغيرون أقوالهم كطواحين الهواء، وأضاف إنه لن يناقش في جلسة تحضرها «إيزيس».

وقال السيد العالمي:

- حاكموا هذين الشخصين في «جزيرة الوسط» وسأطلب من الملاح «أنتي» أن لا يركب في زورقه أي امرأة تشبه «إيزيس».

واستقل آلهة الأنبياد مركباً وراحوا إلى جزيرة الوسط وجلسوا فوق العشب وتحت شجرة الجميز المقدسة، فأكلوا خبزاً وشربوا خمراً في زجاجات خاصة ذات رؤوس مدببة كانت تحت تصرفهم.

ونظرت إليهم «إيزيس» ثم اقتربت من «أنتي» الملاح بعد أن حولت نفسها إلى امرأة عجوز متجعدة الوجه، وسارت محنية الظهر تعرج على قدمها وهي تمسك سلسلة من الذهب وسألت المراكبي:

- هل لك أن تنقلني إلى جزيرة الوسط، إن لي ابناً هناك سأنقل له المؤونة... إنه يحرس قطيعاً من الأبقار... لابد أنه جائع جداً.

- إن معي أمراً صارماً ألا أنقل إلى هناك أية امرأة في مركبي.

- لقد سمعت بذلك - إن هذا الأمر يسري فقط على الآلهة «إيزيس».

- نعم إنه أمر يسري على الآلهة «إيزيس» أو أي امرأة تشبهها!

- هل تتخيل أن هناك شبهاً ما بين «إيزيس» وبيني؟!

وتأملها الملاح بشك كبير وسألها:

- ماذا تعطيني لو نقلت إلى هناك؟

- إن في سلتي قطعة لذيذة من الحلوى!

- هل تتصورين أنني أغامر بمركزي ووظيفتي من أجل قطعة حلوى؟

- طالما أنني لست «إيزيس» ولا أشبهها، يا لك من عنيد! وماذا لو أعطيتك هذه السلسلة الذهبية، إنها من الذهب الخالص، انظر كيف تتألق.

وبرقت عينا «آنتي» جشعاً، وتردد قليلاً ثم قال:

- هيا أعطني السلسلة واصعدي المركب.

وغدت «إيزيس» في جزيرة الوسط تتنقل تحت الأشجار...

ولمحت «سيت» من بعيد يتناول طعامه تحت الأشجار بعيداً عن آلهة الأنبياد. وفجأة

- التفت نحو «إيزيس» وقد حولت نفسها إلى صبية رائعة الجمال... فتقدم سيت منها:

- يا لك من طفلة ساحرة! أتعرفين! كم أتمنى لو أقضي معك بعض الوقت.

- أنا لا أتمنى سوى أن ألتقي برجل لبيب مثلك. لقد حطت علي محن قاسية!

- تكلمي - أنا مصغ إليك! فقد أستطيع مساعدتك، وقالت «إيزيس»:

- كنت زوجة بمنتهى السعادة وكان زوجي يعمل حارساً للقطيع وأنجبت له ابناً زاد في سعادته، ومع الزمن مرض زوجي ومن ثم توفي، فحمل ابني مسؤولية أبيه في حراسة القطيع... واعتدت على هذه الحياة المحزنة إلى أن جاء يوم حضر فيه لبيتنا رجل غريب... هدد بإلقائنا إلى الخارج وقال لولدي:

- سوف أقتلك إن لم تعطني مفتاح الحظيرة التي يأوي إليه. فقطيع أبيك سيكون لي، وقالت إيزيس:

- أريد التعويض عما لحقني من ظلم وإجحاف وطالما أنك أبديت اهتماماً بقضيتي فهل تريد أن تدافع عني.

- نعم - فمن يستطيع أن يتخلى عنك. وكيف يمكن أن يستولي أحد على ثروة المتوفى وزوجته وابنه أحياء يرزقون؟ وابنه شاب قوي على قيد الحياة!

وعند ذلك تخلت «إيزيس» عن ذلك الجسد الذي احتلته لفترة قصيرة لتنصب شركاً لـ«سيت» وتحولت إلى حدأة ملكية طارت لتحط على شجرة جميز مقدسة، وتوجهت إلى «سيت» قائلة:

- اندب حظك يا «سيت» فقد حكمت بنفسك على نفسك في هذه القضية التي استمرت ثمانين حولاً كاملاً. وضرب الإله ذو الرأس السلوقي الأرض بقدميه وهو يشتعل غضباً لقد تكلم مع الصبية بصوت مرتفع وها هي الآلهة المجتمعة هناك تقترب منه. ولكن رغبته بإغراء المرأة الجميلة أنسته نفسه فلم ير المحكمة الإلهية وهي قادمة. وقالت الآلهة له:

- لقد حكمت على نفسك يا «سيت» كما سمعناك منذ لحظة. وقال له «بري»:

- منذ قليل كانت كفتي الميزان على نفس الارتفاع، والآن رجحت كفة «حورس».

وغادرت الآلهة جزيرة الوسط بعد أن قطعت «لسيت» إبهام قدمه عقوبة له، ثم انتقلت الآلهة إلى الجبل على الضفة الغربية للنهر كي يتشاوروا في هذا الأمر.

وعلى الرغم من اعترافه كان «سيت» يدافع عن نفسه بوحشية عندما رأى أن الريح تجري بما لا يشتهي. وغادر سيد العالم معسكر «سيت» ليمارس دوره كرئيس للأنبياد وكحكم في هذه القضية بعد كانت أفكاره مع «سيت».

ولم يكن ذلك الإله ذو الشعر الأشقر ممن يحني رأسه أو يعترف بهزيمته، فهناك لا يزال الباب مفتوحاً لمعارك أخرى. وتحول الإلهان إلى تمساحين وخاضا مبارزة حامية فوق الماء. وكان المتخاصمان دائماً بقوى متعادلة، ومع ذلك فقد بدا الآن أن كفة وروح «حورس» هي الأعلى.

ونفذ صبر الإله «الصقر» فرفع صوته قائلاً:

- ها نحن أمام المحكمة منذ ثمانين عاماً ولم يكن حق «سيت» موضوعياً خلال كل هذه السنين. ولقد أعطيتُ الحق آلاف المرات في صالة «طريق العدالة».

عندها عرض «تحوت» الإله العداد وسيد الزمن وزعيم الكتبة أن يعودوا إلى حكم «أوزيريس» ووافقت آلهة «الأنبياد» جميعاً على هذا الطرح. وضع «تحوت» لوحته على كتفه الأيسر وأمسك القلم: هذا الغصن من القصب المشقوق وراح يخط على ورقه البردي إشارات وصوراً... وكثيراً ما غمس قلمه بدواة الحبر الأحمر فالموضوع على غاية من الأهمية.

وانطلقت رسل شجاعة بسرعة إلى مملكة «أوزيريس» الذي يحكم على الأموات ثم عادوا ومعهم الرد من الكائن الطيب.

- لماذا يتعاملون بشكل سيئ مع ولدي «حورس»؟ ألم أجعل منكم رجالاً أقوياء؟ ألم أقدم لكم الشعير والخمر لإطعام آلهتكم؟ وكذلك لإطعام الناس والحيوان؟

- إن ما قمت به يا سيد العالم هو خير كله وأنت من خلق «الأنبياد» ومع ذلك سمحت للعدالة أن تهان.

- احذروا أيها السادة فالمملكة التي أنا سيدها تعج برسل متوحشين لا يخشون رباً ولا ربةً، وبإشارة بسيطة مني يقتلعون قلوب من يسيئون! هيا عودوا بسرعة إلى جادة الصواب.

وهبطت سلاسل من السماء على الإله ذي الجسم السلوقي وجرته «إيزيس» إلى المحكمة.

- لماذا تريد أن تستولي على العرش؟

- لا لشيء يا سيد «بري» وعلى «حورس» أن يقبل وظيفة أبيه.

وراح الإله ذو رأس أبو منجل ليجلس على كرسي من الذهب الخالص بعد أن زينوا رأسه بالتاج وقال سيد العالم:

- افرحي أيتها البلاد - افرحوا أيها الناس جميعاً - إن فرعون على قيد الحياة.

وارتفعت المياه عالياً وطالت الأيام والليالي وانتظم القمر في دورته فاسجدي يا مصر أمام السيد الأعظم - حياة وصحة وقوة فوق كل أرض.

وسأل «بري»:

- ماذا ستصنع «بسيت». وقال «حورس»:

- ليبق «سيت» عندك يا «بري» فهو أيضاً ابن «نوت» و«جيب»، اعتبره كولدك... سوف يجأر معلناً لك العواصف والصواعق، وقد تصاب بالرعب منه.

قدر الأمير

«أسطورة مصرية قديمة»



كان الحضور رجالاً ونساءً وأطفالاً...

اتخذ بعضهم مجالسه على كراسي وأرائك، وجلس آخرون على حصر ممدودة على الأرض يتحلقون فوقها. وقال طفل للشيخ العجوز:

- احكِ لنا حكاية... وابتسم العجوز وكان يجلس قبالة الصبي تماماً - فرف بعينه ونظر إلى الجمهور ثم تنحنح...

وصمت الجميع... وابتسم الطفل من جديد، من كان يتكلم منذ مئة عام هو الذي يتكلم الآن:

- يُحكى أن أحد ملوك مصر... كان ملكاً ثرياً وكريماً يتمتع بالصحة والقوة ومحبة جميع الشعب... وعلى الرغم من كل هذا... كان تعيساً جداً إذ لم تنجب له زوجته وريثاً يمتلك الحكم من بعده. فجاب بلاد الأرضين كلها وزار كل المعابد وقدم الأضاحي متوسلاً للآلهة أن تمنحه وريثاً للعرش.

وعندما انتهت كل رحلاته، عاد إلى قصره.

وقد تستجيب الآلهة في بعض الحالات لرغبات البشر!... فبعد تسعة أشهر من عودة الملك، أنعم الله عليه ووضعت زوجته مولوداً ذكراً.

وهبطت من السماء مباشرة الآلهة «هاتور» وعددهن سبعة وانحنوا فوق سرير المولود يحددن مصيره.

والآلهة «هاتور» لا تبالي بقدر المولود، حسناً كان أم سيئاً، وتحت أي نجم أطلق المولود صيحته الأولى فذكرت مصيره بكل هدوء، على الرغم من أن مستقبله بدا رهيباً جداً:

فقالت إحداهن:

- سيموت مهروساً بين فكي تمساح كبير، وقالت الثانية:

- أو تعضه أفعى سامة... وقالت ثالثة:

- أو يقفز كلب مقدس إلى عنقه ويخنقه.

وبعد أن ذكرت كل هذه التنبؤات السيئة، اتخذت طريقاً لا يعرفها أحد غيرها... وعادت ببطء إلى السماء.

ولم يستطع أحد أن يسكت على هذه التنبؤات السيئة ولم يستطع أحد إلا أن يأخذ هذه التنبؤات على محمل الجد فاندفع الخدم والخادمات يجتزن الردهات والقاعات ينقلن إلى الملك هذه التنبؤات.

وهز الملك رأسه بأسى لدى سماعه ما قيل له واستولى عليه اليأس، ومكنه - بعد قليل أبعد هذه الغمامة السوداء عن رأسه بعد أن عكرت صفو سمائه وسعادته فنهض من مجلسه وتكلم بصوت كله عزم وإصرار وقال:

- لنبن له - فوق قمة الجبل - وبأسرع وقت ممكن بيتاً مناسباً آمناً موثوقاً به، ولننقل إليه كل الأشياء الجميلة والضرورية لطفل، وليسهر عليه ثلة من حرسي الخاص على أن لا يخرج منه أبداً.

ومرت الأيام... وكبر الطفل، وغدا شاباً رشيقاً وفضولياً...

وذات يوم، وكان جالساً على شرفة قصره مع حارسه الخاص شاهد رجلاً يتبعه حيوان يسير خلفه فسأل الأمير:

- ما هذا الحيوان؟

- إنه رجل مسافر...

- أرى ذلك... ولكن ما هذا الذي يسير خلفه...

- إنه كلب سلوقي...

- أحضروا لي كلباً مثله!

ورف الملك بعينه عندما أبلغ برغبة ابنه فقد خطرت له نبوءة الآلهة «هاتور» وها هو ابنه يرغب باقتناء كلب، وتغلب حب الابن على عقل الملك فقال لحاشيته:

- أحضروا له كلباً صغيراً يقوم على تربيته... فيحب الكلب الأمير ولن يؤذيه...

ومرت سنوات وغدا الأمير شاباً يافعاً يمضه عدم الاصطبار، فأرسل إلى والده رسالة شفوية نقلها له رجل موثوق به كلمة كلمة، وقال الأمير:

- أشعر أن العالم يتحرك من حولي وأنا أبقى عاطلاً عاجزاً لا حول لي ولا قوة. أنا أعلم ما قالته الآلهة «هاتور» لكن هل يستطيع إنسان أن ينأى عن قدره ومصيره؟

إن خرجت فسوف أهرس بين فكي تمساح أو يقفز على رقبتي كلب ضال، وإن بقيت فما يمنع أفعى سامة من أن تتسلل إلى قفصي الذهبي؟ سوف أموت هنا أو هناك فلم لا أنطلق إلى مغامرتي في الحياة؟

ورأى الملك أن يمنع ابنه من الخروج! ولكن: من يستطيع أن يقف في وجه نهر في حالة فيضان؟

ومن يستطيع أن يمنع النسغ من أن يجري في شجرة الجميز؟

وأخيراً... وبعد تفكير طويل وافق الملك ابنه على الرحيل. وهيأ الملك له عربة كبيرة زودت بكل شيء، أسلحة، أقواس، سهام، سيوف، وخناجر، وفؤوس، وأوصلوه إلى الضفة الشرقية لنهر النيل وقالوا له:

- انطلق حيث تريد ووفق رغبتك.

وتبع الأمير مباشرة طريق الشمال مخترقاً هضاباً صحراوية يصيد فيها الثعالب، والأرانب، والماعز، والخطباء، والجواميس، والأيائل، والماعز البري، ليؤمن لنفسه الغذاء اللازم، وكان كلبه يرافقه صديقاً وفياً ومفيداً فهو الحليف الأوفى لسيده.

واستمتع الأمير كثيراً بلذة الانعتاق وذاق طعم الحرية الجديدة، التي ينعم بها الآن، بعد أن بقي بعيداً عن العالم منذ أن رأى النور.

وابتعد الأمير كثيراً وتعمق في السفر حتى وصل بلاد ما بين النهرين، هذين النهرين الكبيرين الواقعين شمالي سوريا.

والواقع أن ملك بلاد ما بين النهرين، كانت له ابنة وحيدة يحبها أشد الحب، فبنى لها بيتاً من الحجر عاشت فيه في غرفة فسيحة ترتفع سبعين ذراعاً عن الأرض، جيدة الإنارة والتهوية تحيط بها سبعون نافذة.

وعندما انتهى الملك من بناء القصر واستقرت الأميرة فيه، استدعى الملك كل الشبان والأمراء في منطقة «كار» وهي أرض فلسطين وخطب فيهم قائلاً:

- أيها الشباب، أيها الرياضيون الأقوياء! لقد قررت أن أعد أول من يستطيع الوصول إلى نافذة من نوافذ القصر السبعين بيد ابنتي الأميرة، وتزويجها له شرط أن لا يستند إلى جدار أو يتسلق سلماً للوصول إليها... هيا ثبوا واقفزوا فقد يستطيع أحدكم أن يربح...

ومضت شهور وشهور والأمراء يثبون ويقفزون باتجاه النوافذ ولكن من دون جدوى، فلم يتمكن أحد منهم من بلوغ إحدى هذه النوافذ السبعين الآنفة الذكر.

ووصل الأمير المصري على عربته فأحاط به الأمراء المتبارون، فأحزنهم هذا الغريب التعب الذي يكسو الغبار وجهه، غبار أحمر من البوادي المحرقة التي جاء على اجتيازها.

ونزل الأمير من عربته وسار عدة خطوات وهو يعرج... فسأله الأمراء:

- ما بك أيها الغريب؟ هل تتألم؟ هل أنت جريح؟!

ورد الأمير:

- لقد مشيت طويلاً، وأنا أصطاد لتأمين غذائي، وأظن أن قدمي جريحتان، وقد وقفت طويلاً في عربتي، فقال له الأمراء.

- تعال معنا.

وسار الأمير المصري معهم إلى البيت الذي بناه لهم ملك ما بين النهرين ليستريحوا فيه كلما أنهكهم التعب بعد نهار من القفز والوثب، فاهتم بعضهم بخيول الأمير ينزلون أحمالهم ويقدمون لها الماء، واهتم البعض الآخر برعاية الأمير فيطلون جسده بالمراهم المعطرة ويهتمون بقدميه وساقيه المتألمتين، ويقدمون له أثواباً من القطن وطعاماً من الخبز والبيرة. وابتسم الأمير لهم عندما ارتاح وروى عطشه وغدا أحسن حالاً، وسُئِل الأمير:

- من أنت؟ ومن أين قدِمت؟

أنا ابن موظف مصري يعمل على حفظ مجموعة من العربات، ماتت أمي منذ زمن بعيد، وتزوج أبي غيرها - وبدأت هذه الأخرى تكرهني، فهربت من حقدها.

وتأثر الأمراء جميعاً لمأساة هذا الغريب فكانوا يحضنونه ويقبلونه ليؤكدوا له صداقتهم، وتعاطفهم ومرت الأيام... ولاحظ الأمير أن أصدقاءه الجدد يعودون مساء كل يوم منهوكي القوى مما سمح للأمير المصري أن يتوجه إليهم بالسؤال؟

- وأنتم... ماذا تفعلون هنا... وأين تذهبون كل يوم، وكيف تقضون أوقاتكم؟

وحكى له الأمراء ما قاله له الملك - نهارين - ووعده لهم وشروطه، ومحاولاتهم البائسة! ورد الأمير:

- لو لم تكن قدماي تؤلمانني لذهبت لأقفز معكم!

ونهض الأمير من مجلسه، ومشى عدة خطوات حتى بلغ الباب الخارجي وقد تركه الأمراء مفتوحاً ورفع رأسه إلى الأعلى:

هناك كان القصر الحجري، ونظر إلى نوافذه محاولاً أن يتأمل تفاصيلها... وخيل إليه لبرهة أنه رأى... الوجه الباسم للأميرة الشابة ينظر إليه...

وبعد عدة أيام عادت للأمير الشاب قواه... وفي أحد الصباحات الجميلة اجتاز الأمير عتبة الباب مع أمراء من منطقة «كار» متجهاً مباشرة نحو النافذة التي توجد فيها الأميرة وراح يرقب لفترة أولئك الشبان الذين يحاولون الوثب والقفز ويسقطون مباشرة على الأرض ولا يتمكنون من أن يرتفعوا سوى عدة أذرع فقط...

وفجأة لمح الأمير المصري وجه الفتاة الباسم فشعر أنه غدا خفيفاً جداً وهو يبادلها الابتسام وشعر كأن أجنحة قوية قد نبتت له في كعبيه...

عندها... اندفع عن الأرض بقوة هائلة وقفز فطار كأنه عصفور وبلغ بسرعة فائقة النافذة التي أطلت منها ابنة الملك، وأحس أنه نال المكافأة التي يستحقها عندما أحاطته الأميرة بذراعيها وقبلته...

وأبلغ الملك... أن هناك جهد رجل قد تكلل بالنجاح، فسأل الملك:

- من هو... ومن أي بلد جاء... ذلك الأمير الذي استطاع أن يقوم بهذه المعجزة، أحضروه لي:

وقال رسول الملك للأمراء:

- عفو جلالتك أيها الملك... إنه ليس أميراً فهو ابن موظف صغير من مصر جاء هارباً من زوجة أبيه وغضبها وهو بيننا الآن!

- ماذا تقول؟ أتريدونني أن أزوج ابنتي من مصري؟ من جبان هارب؟ إن من يهرب من غضب امرأة لا يكون رجلاً... يجب أن يعود بسرعة إلى بلده... واستولى على الملك غضب شديد واحمر وجهه وأسرع الرسول يبلغ المصري بقرار الملك... عندها أسرعت الأميرة الشابة إلى الرسول وأقسمت مهددة وقالت:

أقسم بالإله «رع هاركتي» إذا انتزعتموه مني لامتنع عن الطعام والشراب حتى أموت... وعندما كان الرسول ذاهباً لإبلاغ قرارها إلى الملك كانت الشابة تسير مع الأمير المصري باتجاه أقبية القصر لتهرب معه من ممر سري.

ولم تكد تبلغ باب القصر حتى شاهدت رجالاً يتقدمون نحوهم والشر يلمع في أعينهم... قتلة من حرس الملك الخاص... عندها تفجرت غضباً وتحدثت إليهم بقسوة:

- اقتلوه إذا شئتم... وأقسم بالإله «رع» إنني لن أعيش بعده حتى تغيب الشمس، لن أعيش أكثر من ساعة من بعده، وزمجر كلب الأمير وتراجع الجند وعادوا لينقلوا إلى الملك ما حدث ويخبروه بقرار الأميرة.

قد يحتكم بعض الملوك أحياناً إلى العقل، طالما أنها الابنة الوحيدة للملك، وأعلنت كل هذا الإصرار، أظهر الملك بعض الطيبة وطلب من الشابين أن يمثلا أمامه فقال الملك للأمير:

- ادنُ مني أيها الشاب كي أضمك إلى صدري، ستكون منذ الآن بمثابة ابن لي، سأعطيك ابنتي وأقدم لك سكناً خاصاً وملكاً واسعاً ورجالاً يقومون على خدمتك، ورعاة لغنمك، هيا اذهبا بسلام...

ومضت الأيام والأمير يرزح تحت ثقل سر لا يستطيع له كتماناً، وذات صباح انفتح الأمير على زوجته وقال لها:

- إن الآلهة.. «هاتور» انحنت فوق سرير ولادتي وقالت بأنني سوف أموت: مهروساً بين فكي تمساح، أو بعضة أفعى سامة، أو أن كلباً سيقفز إلى حنجرتي، فقالت له زوجته:

- ها أنت ترافق كلباً في ترحالك ... هيا اقتله في الحال! ورد الأمير:

- لا أبداً... لقد ربيته وكان جرواً صغيراً - هو أخلص أصدقائي... وليس هناك ما أخشاه منه.

وصمتت الأميرة، ولكن الخوف قد سكن فيها منذ تلك الساعة فكانت تسهر على الأمير وترعاه وتعتني به بشكل دائم، وترافقه في الحل والترحال.

ولم ينظر الأمير خلفه، ولم يلق بصره إلى الوراء، منذ أن غادر أرض مصر، فقد كان نشوان بحريته الجديدة...

ولو نظر مرة واحدة إلى الخلف لرأى التمساح... قدره ومصيره يتبعه عن كثب، يتبعه كظله.

كان يأمل... لكن التمساح كان يعرف أن ضحيته القادمة تركن إلى بيت قدمه لها الملك «نهارين» فركن إلى ذلك النهر الذي يجتاح مملكة واسعة في انتظار الوقت المناسب.

وبينما كان التمساح يسبح في تيار المياه العذبة صادف خصمه اللدود «روح المياه».

ومنذ أن بدأ الإله «رع» رحلته في السماء كان التمساح يهب ليقاتل خصمه اللدود - ويتصارع الخصمان بشدة طوال اليوم حتى حلول المساء، واستمرت هذه المعارك قائمة لثلاثة أشهر كاملة...

تمنع «روح المياه» التمساح من الخروج من المياه ويمنعها التمساح من الذهاب إلى الشاطئ، فكانا قوتين متعادلتين، فلم تحسم نتيجة المعركة... ومضت ثلاثة أشهر كاملة ولم يتعب المتقاتلان! والأمير غافل عن كل ذلك!!.

ومرت ساعات وأيام...

وفي إحدى الأمسيات السعيدة والأمير يتمدد فوق إحدى الحصر، يغفو آمناً... كانت الأميرة تسهر متيقظة وحذرة فصبت لنفسها قدحاً من الخمر وآخر من البيرة (الجعة) ووضعته قرب الحصير ليشربه الأمير لو صحا من نومه ظمآن.

وشلها الرعب... عندما شاهدت فجأة أفعى تخرج من شق الجدار، أفعى ذات ذيل طويل أسود تدنو ببطء من الأمير النائم وقد شدتها إليه رائحة الخمر والجعة.

وشربت الأفعى من الكأسين وانتشت بالشراب فارتمت على الأرض سكرى، وغرقت في النوم وبطنها للأعلى...

واستعادت الأميرة هدوءها فاستلت فأساً قطعت به رأس الأفعى وقطعتها إلى قطع صغيرة، وصحا الأمير على صوت ما حدث وتساءل:

- ماذا جرى؟ وردت الأميرة:

- انظر.... لقد خلصك الله من أحد أقدارك الثلاثة... إنه يريد أن يحميك.

عندها راح الأمير يقدم الأضاحي للإله «رع» وعبده وتوسل إليه طالباً رحمته، وألقى بقطع الأفعى إلى الكلب الذي يرافقه... ومرت الأيام...

ومرت الأيام وذات يوم وقد انجلى الليل عن صبح مشرق رائع وتنفس الفجر وأخذ يرسل أشعته الطيبة خرج الأمير للنزهة والأميرة لا تزال نائمة فلم يرد أن يختصر فترة نومها وسار يصحبه كلبه بخطى واسعة نحو النهر يتنفس ملء رئتيه سعيداً بالحياة.

ومن الخلف (سمع الأمير صوتاً يهمس له) تناهى إلى الأمير المصري صوت يهمس له وكلمات تقول:

وتوقف الأمير مذهولاً... والتفت إلى الوراء.

- أنا قدرك أيها الأمير... أنا الكلب الذي رصد لقتلك - هي نسيت نبوءة الآلهة «هاتور»؟ عندها راح ابن ملك مصر يعدو والكلب يعدو في أثره وأسرع نحو النهر يقصد إخافة الكلب وأخذ يعدو بسرعة كاد فيها أن يفقد أنفاسه حتى وصل

إلى شاطئ النهر فألقى بنفسه في الماء مبتعداً عن ذلك الفم المفتوح المعد لالتهامه بأنياب حادة، لكنه وجد نفسه في فم التمساح فأمسك التمساح به وجذبه إلى وسط التيار مطبقاً عليه بفكين مرعبين.

وهناك تحدث إليه قائلاً:

- أنا قدرك أيها الأمير - أنا مصيرك المحتوم... لقد تبعتك منذ انطلاقتك من مصر... إنك لن تستطيع شيئاً معي وأستطيع أن أهرسك بلحظة واحدة... ولكن... انتظر، انتظر لحظة فأنا أقاتل عدواً رهيباً منذ ثلاثة أشهر كاملة، قوة إلهية هي «روح المياه»، ولم أستطع حتى الآن أن أقهرها أو أتغلب عليها، قف إلى جانبي وساعدني في حربها وإذا انتصرت عليها أمنحك الحياة... وعندما عادت «روح المياه»: توقف العجوز عن إتمام الحكاية فقيل له:

- هلا أكملت أيها الشيخ؟

فقالت إحدى النسوة للطفل:

- دعوه يسترد أنفاسه، فهو يتحدث منذ زمن طويل.

وقرّت نظرات العجوز:

ورآه الجميع يفتح فمه كمن يحاول أن يتكلم: لكنه أصدر شخيراً... وارتمى فجأة بلا حراك. وانحنى أحد الرجال فوق العجوز وقال بحزن شديد:

- لقد مات، مات بعد أن عاش مئة وعشر سنوات، وتحولت روحه مع الأرواح وأخذت مكانها في مركب الملايين... وسأل أحد الأطفال:

- ولكن إذا انتقلت روح أحدنا إلى مملكة «أوزيريس» فهل يجب أن تتوقف الحكاية؟

وقال آخر:

- سأكملها أنا... عندما عادت «روح المياه» لتقاتل التمساح وجدت نفسها أمام خصمين عندها، غيرت شكلها وبدت بجسم أسد ورأس نمر.

كانت معركة قوية، معركة آخر العالم، فكانت تثور وتقاتل كالشياطين بمخالب قاطعة كالسكاكين، ومنقار أقوى من الصوان، تبحث عن عيون خصميها لتفقأهما.

ولكن... ماذا تفعل هذه المخالب والأنياب أمام حيوان يريد أن يسترد حريته، وأمير يريد أن يهرب من مصيره؟ وتمكن الأمير لفترة ما أن يشل أجنحة النسر واستطاع التمساح أن يبعد رأس الوحش الكاسر عن جسمه الأصهب... عندها تلونت مياه النهر بالدماء، وغدا كأنه وريد أحمر يسيل فوق الأرض. وقال التمساح للأمير:

- لقد أعنتني ضد عدوي وسأمنحك الحياة لتعود سليماً ولكن... حذار أن تبوح لأحد بحرف مما جرى بيننا واتفاقنا، فإن الإله «سوبيك» لن يغفر لي هذا، وتحقد علي الآلهة «هاتور»، وقبل الأمير بذلك وقد أرهقته المعركة... لكنه وجد في نفسه بعضاً من قوة تمكنه من السباحة بين عضلات النهر السائلة إلى شاطئ الأمان.

وبلغ شاطئ النهر، فاستلقى على الأرض وعقد ذراعيه فوق صدره ليتيح للشمس الحسنة أن تجفف جسمه المبلل وتداوي جراحه الثخينة وأغمض عينيه وراح يفكر.

- سأذهب حالاً لملاقاة الأميرة... وابتسم ابن الملك، على الرغم من جراحه على الآلهة «هاتور» فقد تقطعت الأفعى وعاد التمساح إلى بلاد الأرضين... أما الكلب!

آه ... أيها الإله «رع» لقد نسيته:

وفتح الأمير عينيه... لقد غربت الشمس لكن الظلام لم يحل بعد.

وكان الوقت وقت خسوف فالقمر لم يكن هناك.

كان هناك شدق الكلب يقف بينه وبين الشمس، ولم يعد الوقت كافياً للهرب من أنياب الكلب المخيفة.

وأطلق الأمير يده في حلق الكلب وراح يضغط عليه بكل قوته حتى اختنق الكلب بكفي الأمير الحديديتين ولفظ الكلب أنفاسه ونهض الأمير وسار على الشاطئ....

وفي آخر القصة... لابد أن تتحقق نبوءة الآلهة «هاتور» فالأمير أدار ظهره للنهر وسار على الشاطئ، منشرح الصدر، واتخذ طريق الوادي منطلقاً إلى البيت نحو الأميرة التي يحبها، ولو التفت إلى الخلف لرأى الأفعى وهي تخرج من شدق الكلب المفتوح.

إنها الأفعى - إنها قدره ومصيره فقد تجمعت وتلاصقت أجزاؤها في أحشاء الكلب وها هي تتقدم من فريستها الغافلة، فوصلت بسرعة إلى الأمير ونصبت قامتها خلفه وعضته في مؤخرته عضة قاتلة...

وهناك في الأعلى... تنهدت آلهة «هاتور» السبعة وتنفست الصعداء...

«التينة العاشرة»



في ذلك الزمان البعيد، وبالقرب من مدينة «طيبة» كان يعيش هو في متوسط الحال يعمل حائكاً، يحيك أقمشة من القطن بيديه ثم يبيعها للفلاحين، ولا يجني منها سوى ربح ضئيل جداً.

ولم يكن هذا الحائك ليهتم بالزمان أو المكان فكان يتربع وراء عمله من بزوغ الشمس حتى غروبها، كان عملاً شاقاً لكنه لم يكن يتذمر أو يشكو فإلى من يستطيع أن يشكو والفلاحين الذين يبيعهم أكثر منه بؤساً وشقاءً! فلا يهتم الفلاح في وقت الفيضان إلا بأدواته التي يقضي نهاره في تصنيعها وليله في صنع الحبال. ومن ثم عليه أن يعتني بحيواناته غير آبه لساعة من الراحة يسترد فيها قوته. كما أنه يهتم بأعدائه... كالأفعى التي تدمر كل ما يتركه على الأرض والفئران التي تعبث فساداً في الحقول أيام الحصاد والعصافير التي تنقر الثمار والجراد الذي يقضي على النباتات، وعندما يكبر الشعير ويغدو سنابل وتبدو الأزهار الزرقاء تزين فروع شجر الكتان كثيراً ما يهطل البَرَد القاسي فيدمر كل شيء.

هذا حال الفلاح المسكين... وإن كان هناك محصول أو لم يكن يبحر الكتبة إلى الشواطئ ليجمعوا الرسوم والضرائب من الفلاحين على الحصاد ويطالبون بنصيبهم فيها. فإن كان محصول الفلاح قليلاً أو لم يكن هناك محصول أصلاً فيعاقب الفلاح

بالضرب يوثقون زوجته ويقيدون أولاده أمام عينيه. أما الحرس الذين يرافقون الكتبة، فهم مسلحون عادة بالهراوات وسعف النخيل يضربون بها الفلاحين. ولا يستطيع أحد أن يتذمر أو يشتكي! وكان هذا العامل يعيش في بيت مبني من القرميد المصنوع من طمي النهر المضاف إليه التبن، ويغطى البيت بأوراق النخيل، تحد حديقته جدران من الحجر - وفي زاوية هذه الحديقة انتصبت شجرة تين كبيرة...

كان هذا الحائك شقياً وتعساً في وحدته، وفي حالات يأسه يذهب ليرتاح في فيء شجرة التين هذه التي كبرت وغدت شجرة ضخمة، فإذا ما حان موعد قطاف التين كان الحائك يأكل من ثمراتها مع كسرة من الخبز يعتز فيها فلا يأكل أكثر من ثمرتين لكي تطول متعته بها وتبقى الثمرات فترة زمنية أطول. وكان يحمد الإله «آمون» على نعمته وعطائه وطيبته.

وفي مساء يوم شتوي، انطلق هذا العامل نحو جار له يعمل كاتباً من الدرجة الثالثة، وقال له:

- لقد حدث معي شيء غريب، لا يصدق! عندما عدت من بيع أقمشتي رأيت! يا للعجب - رأيت! تعال وانظر بنفسك، رأيت شجرة التين تكسوها الأوراق الخضراء في فصل الشتاء هذا. انتظر - وليس هذا كل شيء - لقد طرحت ثمراً طيباً مستديراً ومكتنزاً رائعاً لذة للآكلين.

وحمدت الإله «آمون» على نعمته... وجئت الآن أستشيرك فأنت أكثر مني معرفة. وهز الكاتب رأسه وجاء بعلبة مليئة بالرمل وتمتمت شفتاه بأرقام غير مفهومة وعبارات سحرية ورسم خطوطاً مبهمة على الرمل وقال للرجل:

- اذهب إلى فرعون كل صباح لعشرة أيام متتالية حاملاً إليه ثمرة التين التي تبدو ألذ وأطيب من الأخريات، وسيتحدد مصيرك في اليوم الأخير، حيث يثبت عند ذلك الخير والشر.

وتلعثم الحائك المسكين أمامه وهو ينطق له ببعض عبارات المجاملة وأهداه قطعة قماش وهو يشكره وعاد إلى بيته.

وهناك... قضى ليلاً مضطرباً تتخلله الأحلام أحياناً، والكوابيس أخرى، ومنذ فجر اليوم التالي اتخذ طريق «طيبة» لملاقاة فرعون وقلبه يخفق بشدة خوفاً وأملاً...

ألا يذهب الآن لملاقاة الرجل الذي يضاعف الخير للناس؟ ألا يذهب لملاقاة «رب الأرباب» الإله «رع» ذي الجسم المستدير والخالد إلى الأبد؟

نعم - لقد كان مضطرباً جداً كما لم يكن في حياته ووصل إلى قصر الأقصر، حيث يقطن الملك. كان مضطرب الفكر، قلقاً متسخاً مستوراً بالغبار من وعثاء السفر الطويل. وندم على أنه لم يحمل معه ثياباً نظيفة يبدل بها ثيابه. وفي وسط طبق كان يحمله ويستره بقطعة من قماش مهدب استقرت تينة كبيرة، مستديرة، مكتنزة، سليمة ورائعة.

واجتاز العامل ردهات طويلة ذات عمد يروح فيها ويجيء بعض الحرس أو الخدم، وانسل مع صفوف القادمين للشكوى الملحاحين وتوصل أخيراً إلى قاعة الاجتماعات.

كان الفرعون يرتاح في مقعد رائع لا مثيل له تظلله قبة عرش بمنتهى الروعة والذوق الرفيع بين عمودين أثريين...

والفرعون للحق، ملك عادل فإن كنت على حق وتعمل خيراً يثيبك، ولو جانبت الحق وعملت شراً فعليك أن تخشى غضبته، لذا كان الحائك شديد القلق على مصيره، فماذا لو أخطأ في تفسير الرسالة التي رسمها له الكاتب في الرمل؟ إنه من الكتبة فعلاً لكنه من كتبة الدرجة الثالثة! وأيضاً ما قيمة ثمرة واحدة من التين بالنسبة لابن الإله «رع» ذلك الملك الواسع الثراء؟

وأخيراً جاء دور الحائك، فمثل أمام الملك ولمس بيده اليمنى طرف أذن الملك وجبينه ثم أدنى منه ذلك الصحن الذي ترتاح فيه التينة المقدسة، وقد حملها له أحد الخدم وقدمها لفرعون وهو يقول:

- لو تعلم يا مولاي بماذا أنعم الإله «آمون - رع» علي. لقد أراد لشجرة التين في حديقتي أن تعطي ثمراً في فصل الشتاء البارد - أليس هذا عجباً؟ وأنا ذلك الحائك البسيط وتاجر الأقمشة المتواضع أجرؤ على أن أحمل لمولاي الملك، إلى فمك المقدس إحدى هذه التينات العشر! لقد اخترت لك واحدة منها بدت لي ألذها وأطيبها! وإذا رغبت جلالتكم فإني أتقدم بأن أعود إليكم كل صباح حاملاً لك التينات التسع الباقية كلما نضجت! وتذوق فرعون ثمرة التين... وفرعون ملك نهم... ووجدها إلهية فعلاً...

وفي القصر... نادى فرعون وزيره «أنزاب» وكان وزيراً للعدل - وقال له:

- أعطِ هذا الرجل العظيم رداءين رائعين من الكتان ومئة قطعة ذهبية.

كان طريق العودة مختلفاً جداً على الرغم من أنه الطريق نفسه، الذي قاده إلى «طيبة»، إذ حل الفرح محل الخوف فسار خفيف القلب منشرح الصدر وهو يحمد الإله «آمون» من كل قلبه. واشترى حماراً أبيض اللون ينقل عليه بضاعته وعاد إلى بيته...

ولشدة فرحه دعا هذا الحائك جيرانه للاحتفال بهذه المناسبة، وشدد على دعوة الكاتب من الفئة الثالثة الذي قدم له النصيحة الثمينة، فقام بشواء عشرين إوزة وأحضر أربعين صحناً من الحلوى وقدم لضيوفه كمية كبيرة من الجعة بجرار من جرار الخمر المتميز، وكان الجميع مسرورين وسرور البعض مدعاة للغيرة والحسد لهذا العامل.

واستمر الحال على هذا المنوال - ينطلق كل صباح يقدم تينه إلى فرعونه، ويتقبل منه الكثير من الهدايا التي تزداد قيمتها من يوم لآخر، قطع من الدراهم، قطع ذهبية، أراضٍ، عبيد، وما إلى ذلك.

أما «انزاب» فكان إرادة فرعون وعيونه وأذنيه، وهو عالم من علماء عصره، ولاحظ ذلك الوزير أن ذلك العامل ينال حظوة كبيرة لدى الملك. وازداد الشك والحقد في نفسه فرسم له خطة سوداء.

وفي أحد الأيام ذهب «انزاب» إلى بيت العامل ورأى شجرة التين ولم يبق عليها سوى تينات ثلاث. وعندما دخل البيت كان القوم يُعدون مائدة حافلة.

فدخل المكان وحيا الجميع وأثنى على العامل وأطراه وهنأه بتلك الثروة الوفيرة التي هبطت عليه من السماء، أما في داخله فكان يقطر سماً، وقال للحائك.

- أنت تعرف أن جلالة الملك يثني عليك دائماً، ويتحدث عنك دائماً، وقد يزوجك ابنته - ولكن... وشعر العامل بالقلق يستولي عليه وقال له:

- ولكن... ماذا هناك؟ ورد الوزير.

- هناك شيء يزعج الملك كثيراً - وسيكون له مردود سيئ عليك - إن لك رائحة فم مزعجة! وحتماً أنت لا تستطيع شيئاً إزاء ذلك، فالمرء لا يستطيع أن يتحكم بمعدته، عذراً إن قلت ذلك بهذه الصراحة لكن رائحة أنفاسك تزعج الملك - لقد أتيت لك كصديق وأقدم له هذه النصيحة!

عندما ستحضر غداً، ضع قطعة قماش بيضاء على فمك، وسيقدر لك جلالته هذا التصرف. وغادر «انزاب» بيت العامل الذي ندم على تصرفه وعلى مقابلته لفرعون وعلى استغلال تينته بهذا الشكل...

هل هو الثوم يا ترى؟ هل الثوم في الصلصة الذي سبب له تلك الرائحة؟ ولم يذق ليلتها شوربة الخضار التي صنعها في المساء، وفي الصباح تناول لقيمات قليلة وغسل فمه جيداً بالماء البارد قبل أن ينطلق للقاء الملك.

وبالفعل - ففي اليوم التالي كان وجه الحائك مغطى إلى منتصفه عندما دخل إلى فرعون مقدماً له تينة ناضجة مستديرة مكتنزة... وكانت التينة الثامنة.

وتلقى العامل كمية من الدنانير الذهبية إثر تذوقه طعمها الرائع وقد وجدها سماوية فعلاً.

ورجع العامل إلى بيته مبتهج القلب خالي الهم، كان التحذير له ناجحاً وعليه أن يقدم هدية إلى «انزاب» مقابل ذلك... ولم يكد العامل يبتعد حتى استدعى فرعون وزيره وسأله.

- لماذا يضع هذا العامل قطعة قماش على فمه وأنفه؟ هل أصيب صديقنا هذا بالبرد؟!

ورد «انزاب» بأنه لا يعرف سبب هذا التصرف غير المألوف... لكنه انطلق خلف الرجل! وعاد «انزاب» بعد قليل وقد تجهم وجهه وبدا كئيباً مضطرباً... فاستجوبه فرعون قائلاً:

- ما هو هذا الشيء المؤلم الذي خبرته؟

- لا شيء لا مولاي... لا شيء.

- كيف لا شيء... لابد أنك تخفي الأشياء عني - تكلم فإن لصبري حدوداً.

- سامحني واعذرني يا مولاي إن ما سأقوله صعب جداً!

- تكلم أخيراً... أنا آمرك بذلك.

- إن هذا العامل سعيد جداً وقد غمرته بعطايا وشرفته بطيبتك، فقد حصل من جلالتكم على ثروة كبيرة وشكر الإله «آمون» بأنه عاش في ظل حكم رجل مثلك.

- إذن - قل لي ماذا هناك؟!

- هناك أن هذا العامل السعيد بهداياك يتساءل كيف ينتشر من فم ابن الإله «رع» هذه الرائحة المثيرة للغثيان - ذلك هو السبب الذي قرر أن يحمي أنفه بقطعة قماش

كي لا يشم هذه الرائحة الكريهة من أنفاس جلالتكم ولكي يبقى في مواجهتكم دون أن يغمى عليه.

وشعر فرعون بغضب جنوني، وكاد أن يأمر باعتقال الرجل مباشرة، لكنه ارتأى رأياً آخر وقال «لأنزاب»:

- هذا لا يهم، ليحضر أيضاً ويقدم لي ثمرات التين، وسأكافئه بأكثر مما يحلم.

وكادت السماء تسقط على رأس الوزير فالملك لم يسامح العامل فقط، بل سيضاعف له المكافأة، فهل سيعينه وزيراً بدلاً منه - ومن ذا الذي يستطيع أن يعرف ماذا يدور في رأس هذا الفرعون؟!

وأكل الملك التينة التاسعة اللذيذة والمكتنزة والمستديرة الناضجة، وتأمل العامل وهو يخفي وجهه خلف قطعة الكتان البيضاء... وأمر فرعون بأن يحضروا له ما يلزم للكتابة، وتدافع الكتبة لتلبية طلبه ويدونوا للملك ما يريد أن يكتبه، لكنه رفض عرضهم فقدموا له اللوح والدواة والأقلام وورق البردي وكتب فرعون وختم الأمر الذي كتبه وقدم اللفافة إلى العامل وقال له:

- غداً، عليك أن تأخذ هذه اللفافة إلى خازن بيت المال - إنها جائزتك - إن تيناتك بمنتهى الروعة وكانت إلهية فعلاً...

ولم يكن الرجل يبتعد حاملاً لفافته حتى لحق به «انزاب» وهو يعدو في أثره وقال له:

- ألم أقدم لك نصيحتي... إن فرعون لم ينزعج منك وقد ضاعف مكافأتك... لكنه طلب إلي أن أقدم لك هذا الكيس كي لا تتعب نفسك وتهدر وقتك في الذهاب إليه في كل صباح، فالأمر الذي كتبه بيديه يقضي بأن يعطيك خازن المال ألف قطعة ذهبية، أعد إليّ هذه الوثيقة التي غدت لا فائدة منها وخذ هذا الكيس وهو يحوي المبلغ نفسه بدلاً من الظرف المختوم.

وسلم العامل الظرف المختوم إلى «انزاب» وتابع طريقه سعيداً بهذه المنحة غير المتوقعة والتي لم يكن ليحلم بها... وكاد «انزاب» أن يطير من الفرح ومعه لفافة الملك المختوم مع ما يحتمل أن يكون فيها من الهدايا الثمينة والمنح والعطاءات.

وفي صباح اليوم التالي راح «انزاب» يقدم اللفافة لخازن بيت المال حالماً أن يخرج من عنده بأكبر قسط من الغنيمة، وأكثر بألف مرة مما ناله العامل من الملك حتى الآن، وبالفعل لم ينم ليلته السابقة وهو يحمل تلك الوثيقة أو القرار الذي سيؤمن له الثروة والمال، والثراء الكبير، ونهض من الفجر لينطلق إلى بيت المال.

قدم الأمر الملكي إلى الخازن... وفرد هذا ورق البردي بعد أن نزع أختامها وقرأ ما جاء فيها، ثم أعاد قراءتها، ونظر إلى «انزاب» ثم صفعه بأصابعه.

وفي الحال، انقض عليه فارسان وأمسكا به وقام ثالث بقطع رأسه بضربة سيف واحدة.

وفي اليوم الثاني... لم يصدق الفرعون عينيه عندما شاهد العامل يحضر إلى قاعة العرش... هل رأى كابوساً؟ أليس هو الرجل نفسه الذي حضر بالأمس؟ جاء ليقدم له التينة العاشرة وهو ملثم الوجه... تينة مكتنزة وناضجة...

نادى «انزاب» لكن خازن بيت المال هو الذي حضر بدلاً منه، وقال له فرعون غاضباً:

- إذن... أنتم تخالفون أوامري... ورد الخازن:

- على العكس يا مولاي... فأنا قد نفذت أوامرك - لقد أمرتني بلفافة البردي أن أقطع رأس حاملها وقد فعلت! إن «انزاب»هو الذي كان يحملها... وها هو رأسه في هذا الكيس. وألقى الخازن ما في الكيس... فكان رأس «انزاب» يتدحرج.

- ولم يدرك ابن الإله «رع» ما حدث فقد أمر بقطع رأس الحائك، وها هو رأس وزيره يدحرج على الأرض، وانتحى الملك بالعامل جانباً وسأله عما حدث.

عندها روى العامل للملك القصة من أولها وذكر له نبوءة الكاتب من الفئة الثالثة، وحدثه عن رواحه وغدواته... وآخرها نصيحة «انزاب» له فيما يتعلق برائحة فمه الكريهة التي كانت تزعج الملك... ثم آخراً عندما لحق به واستبدل اللفافة بكيس فيه ألف ليرة ذهبية أعطاه للعامل. وتأمل فرعون... هذا الحائك البسيط، وقال في نفسه:

- هل يمكن لهذا الرجل البريء أن يكذب؟! وألقى نظرة سخرية على المشهد وقال:

- تنتهي الأمور أحياناً بشكل حسن! لقد وضعت كل ثقتي بهذا «الانزاب» ولم يكن إلا خائناً! لقد حاول اختلاس ثروة ليست له لكنه عاقب نفسه بنفسه...

لقد أصاب هذا الكاتب من الدرجة الثالثة وسيعود الخير إلى مكانه، والشر إلى مكانه:

قل لي أيها العامل:

- إن مكان وزيري أصبح شاغراً فهل تحب أن تشغله؟

- سيدي ومولاي الملك... إن كانت تلك رغبتك فأنا أقبلها بسرور.

إذن - لقد عينتك منذ الآن هيا اذهب واجمع حوائجك وكن تحت تصرفي منذ صباح الغد وقل لكاتبك هذا من الدرجة الثالثة أن يحضر لتعيينه في الحرس.

وانطلق العامل مسرعاً...

لكن الملك ناداه قائلاً:

- نسيت أن تقدم لي ما جلبته من بيتك.

وأدنى العامل تينته خجلاً...

وأكل الملك التينة العاشرة، ناضجة مستديرة مكتنزة وإلهية مقدسة.

خاتمة

عندما كان العقل البشري يتخبط في ظلمات بدائيته، بين ظواهر طبيعية، تصفو مرة فتجزل العطاء، وتغضب أخرى فتدمر كل شيء، اتجه الإنسان نحو هذه الظواهر متوسلاً وضارعاً، فعبد الشمس والقمر وبقية أجرام الفضاء، وجعل للخصب، والجفاف، والأنهار، والينابيع، والأمطار، والحيوانات، النافع منه والضار، فعبدوا بعضها خشية بطشها، وبعضها الآخر رجاء استمرار منافعها، ليضمن القوت لنفسه ولعائلته ولاسيما الطعام الذي كان يحصل عليه بصعوبة كبيرة. وهذه الآلهة الكونية تتصف بصفات إنسانية، فتتزوج، وتتناسل، وتغضب، وتحزن، وتفرح، وكان تقرب الإنسان لهذه الآلهة بصفتها جرماً كونياً ومنعتها تمثل الإنسان في هذا الجرم.

ومع تناوب فصول السنة وما يتبع ذلك من موت وجفاف وعودة للنمو والخصب بالتناوب، فقد افترض العقل البشري أن هناك صراعاً دائماً بين قوتي الخير والشر، فقام يشمر عن سواعده ليدعم قوى الخير، بزيادة الجهد المثمر في الأرض. وتقرب إلى الآلهة بأبكار ثماره وماشيته مع طقوس وعبادات خاشعة واتجه نحو قوى الشر متزلفاً بوسائل السحر اتقاءً لشرها وإبعاداً لغضبها.

ففي الميثولوجيا المصرية يطعن الإله «حورس» و (هو أحد أفراد الثالوث المصري الذي يرأسه الإله «أوزيريس») إله الشر «سيت» ممثلاً في تمساح، حيث تُعدُّ هذه الميثولوجيا المصرية التمساح حليفاً لإله الشر «سيت».

ولا غرو أن عقيدة الخلود في أصل البنى الدينية في الواقع الاجتماعي والاقتصادي ترتبط بنضال الشعب المصري ضد الظلم والقهر، وهو النضال الذي قاده إلى ابتداع

عقائد مضادة للعقائد السلطوية حتى استطاع أن ينال الخلود الذي كان مقصوراً على الفراعنة.

فكان «أوزيريس» هو إله الشعب الذي ضحى بنفسه لكي تستعيد الأرض خصبها ويستعيد الشعب عائد إنتاجه، مما يؤكد أن العقائد الدينية ليست في الحقيقة سوى صياغة أيديولوجية للصراع الاجتماعي الذي فرضه البشر على الأرض.

الفهرس

الأسطورة العربية ٩

حكايات وأساطير من مصر القديمة إحدى البلاد الأقدم في العالم ١٣

أخناتون ٢٠

الكتابة ٢٣

نهر النيل ٢٣

ورق البردي ٢٤

قدر الأمير «أسطورة مصرية قديمة» ٦٩

«النبتة العشرة» ٨٣

خاتمة ٩٥

منشورات دار علاء الدين في مجال التاريخ والميثولوجيا

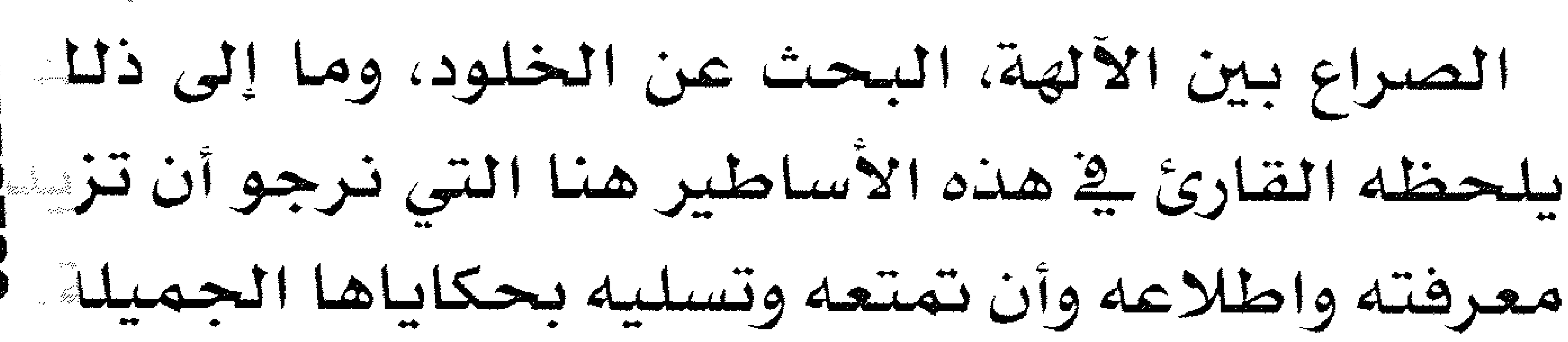
- سويداء سوريا موسوعة شاملة عن جبل العرب
  إسماعيل الملحم
- التاريخ السري
  بروكوبيوس
- الجنس في العالم القديم
  بول فريشاور
- فتح بلاد الغال يوليوس قيصر
  بيتي راديس
- السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية
  جان كلود مارغرون
- أميرات سوريات حكمن روما
  جودفري تورتون
- أساطير في أصل النار
  جيمس [illegible]
- الاقتباس والجنس في التوراة
  [illegible]
- في أصل العرب ومواطنهم
  د. ماجد عبد الله الشمس
- القاهرة وبيت المقدس ودمشق
  دافيد صموئيل مارجوليوث
- سلسلة الأساطير السورية
  رينيه لابات
- طقوس الجنس المقدس
  س. كريمر
- بنو معروف في التاريخ
  سعيد الصغير
- التشريعات البابلية
  عبد الحكيم الذنون
- بدايات الحضارة
  عبد الحكيم الذنون
- الأسطورة في بلاد الرافدين الخلق والتكوين
  عبد الحميد محمد
- الحضارات القديمة ١-٢
  ف. دياكوف / س. كوفاليف
- الأسطورة والمعنى
  فراس السواح
- التاو تي تشينغ
  فراس السواح
- الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم
  فراس السواح
- الرحمن والشيطان
  فراس السواح
- الوجه الآخر للمسيح
  فراس السواح
- آرام دمشق وإسرائيل
  فراس السواح
- تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود
  فراس السواح
- جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة
  فراس السواح
- دين الإنسان
  فراس السواح
- لغز عشتار
  فراس السواح
- مغامرة العقل الأولى
  فراس السواح

Contes et légendes de l'Egypte ancienne

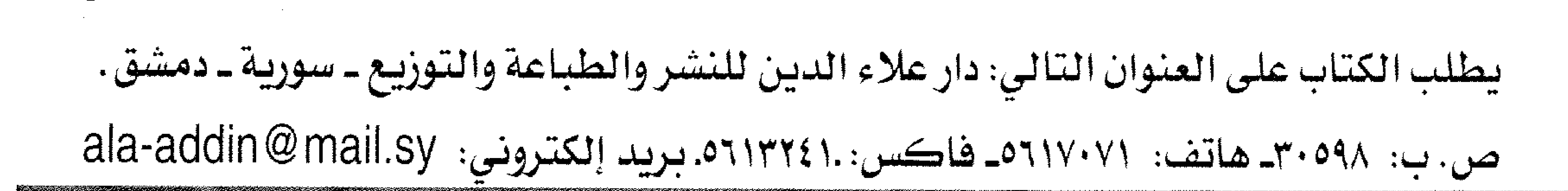
الأسطورة هي المجتمع، هي الدولة، هي الحكام، ترسم صوراً من حياتهم كما كانوا يعيشونها تماماً.

قصص حدثت فعلاً وزيّنها من رواها بحقائق وأخيلة وصور واقعية لا زيف فيها. تصوراتٌ مما كان الشعب يشكو منه أو يرجوه، واقترنت بذلك الحقيقة والخيال بانسجام لا تشويه فيه.

فهناك مصر،النيل،الصحراء،الشمس،العمال، الفلاحون، الحيوانات المفترسة، الأفاعي، الآلهة المتعددة التي يختلط فيها الإنسان بالحيوان أو يتقمص فيه.



الصراع بين الآلهة، البحث عن الخلود، وما إلى ذل يلحظه القارئ في هذه الأساطير هنا التي نرجو أن تز معرفته واطلاعه وأن تمتعه وتسليه بحكاياها الجميل



يطلب الكتاب على العنوان التالي: دار علاء الدين للنشر والطباعة والتوزيع - سورية - دمشق.
ص. ب: ٣٠٥٩٨- هاتف: ٥٦١٧٠٧١- فاكس: ٥٦١٣٢٤١. بريد إلكتروني: ala-addin@mail.sy